نـــورا

اسم الكتاب: نـــورا
اسم الكاتب: محمـد رجـب
تدقيق لغوي: محمد النجـار
تصميم الغلاف: محمد مجاهـد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – 2021 م
رقم الإيداع: 2021 / 2175
الترقيم الدولي: 7 – 32 – 6852 – 977 – 978

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

نـــــــورا

مجموعة قصصية

محمد رجـب

DEDICATE

JON SNOW

A BASTARD OF WINTERFELL

1

نـورانـا

مُلقى على سرير وإحدى قدماي المثبتة بسياج من حديد طبي ترفعها لفافة بيضاء وأسفلها وسادة مكدسة بالقش، بداخل عنبر مكتظ بالأَسِرَّةِ المحملة بالجنود المتنوعة إصاباتهم داخل مستشفى ريفرز العسكري والتي يتزايد عدد مرضاها يوميا بسبب الحرب، استيقظ الجميع هذا الصباح على غير العادة، فالعادة قد جرت أن نستيقظ على صراخ لجندي قادم من معسكره بإصابة بليغة أو حتى نستيقظ على عويل لصديقنا الجندي (كيميت) وهو أقدم النزلاء في المستشفى العسكري وأكثرهم شهرة بيننا بسبب عويله الصباحى، وعلى الرغم من وجوده في آخر العنبر إلا أن صراخه قادر على إيقاظ كل المرضى وحتى الممرضات والأطباء أيضا، فهو أشدنا بلاء فقد بُترت كلتا قدميه في الحرب وهو الآن ألمه ليس جسديا فقط ولكن نفسيا أيضًا، وهو الأعظم تأثيرا على الفرد منا (لماذا لم يتركوني أموت، فأهون لي أن أموت خير من أن أحيا عاجزا هكذا،،)! تلك هي كلماته التي يُكررها كل صباح يبدو أن كابوس الإصابة لا يفارقه أبدا ويوقظه على تلك الكلمات، جملة بسيطة بكلمات قليلة أثناء صراخه وعويله لكنها كانت تنزل على الجميع نزول الصاعقة في جرحانا مما كان يزيدنا جميعا إشفاقا عليه ونبدأ الصباحات خاصتنا باللعنات على الحرب ومسئوليها، أما عن هذا الصباح وهو الموافق الخامس من تشرين 1945 بدأ بصوت لبيان

إذاعي يعلنون فيه نهاية الحرب ومن بين أسبوعين من الصباحات الكئيبة، الحزينة والقاسية ينفرد هذا الصباح بالبهجات والصراخات، صراخ ليس من الألم بقدر ما هي إعلان عن الفرح بانتهاء أعوام من الدم والدمار أصاب العالم جميعه، غمرت العنبر ألوان من البهجة والسعادة والفرحة اختلطت بالجميع لم نعرف تفاصيل البيان سوى بدايته أو بالأحرى عنوانه (انتهت الحرب وبدأ السلام) وبهجة الممرضات والجنود خيمت على البيان لم نعرف منه سوى أول جملة، أما التفاصيل فغابت وسط فرحة الجنود، لم أشاركهم الصيحات والمباركات ليس لأني محب للحرب ولكن لأن حربًا بداخلي لم أستطع الانتصار فيها ولم تنتهي بعد، هدأت أصواتهم في رأسي وتراخ جفناي، انتهت حروب العالم والبشر ولكن ما الفائدة من هدوء العالم وبداخلنا حروب لا تريد الانتهاء، وسحبت من تحت وسادتي صورة للطفلة ذات الخمس سنوات بوجهها النحيف الممشوق وابتسامتها المبهجة وكتفيها المرفوعان بثقة، لطالما كانت ذات ثقة وشجاعة منذ ميلادها وشعرها الحر كروحها الطاهرة، أنظر إليها ليس الآن فقط ولكن كل يوم أنظر لتلك الصورة وأنا أردد كم أود لو انتصرت واستطعت استعادتك، انتبهت لي إحدى الممرضات واتجهت نحوى ولم أشعر بها سوى يدها على كتفي وتقول:

أهي طفلتك!؟ "قالت ذلك وهي تبتسم".

إنها جميلة وتُشبهك كثيرا،، غدا تعود لأحضانها وتسعد بعودتك.

ابتسمت لها وبداخلي بحر من الدموع ليست فقط طفلتي إنها النور الذي سطع في حياتي، إنها حبيبتي وطفلتي في آن واحد كم كان ذلك يُسعدها حينما كانت تسمع ذلك من أصدقائنا كانوا يقولون أيضا (أنتما تتقاسمان نفس الملامح) كان ذلك شيء يسعدها كثيرًا، وكنت أقول في سري كيف لهؤلاء الحمقى أن يُشبهوا ملامحها الجميلة، البريئة، الطاهرة، بملامحي فليس لدى أي نصيب من الوسامة أو حتى لطافة الروح، الحقيقة أني لم أهتم بذاتي إلا يوم أن التقيت بها ورأيت ملامحي في عينيها هنا فقط شعرت أنني أمتلك ملامحًا، ومن أجلها فقط علي الاعتناء بها، نعم ليس هناك من لحظة أعظم للرجل أن يثق فيها بذاته إلا وقت أن ينظر في عيون من يُحب، وقتها فقط يرى كل الحقيقة، إنها نورانا طفلتي وحبيبتي وصديقتي وعائلتي هي أنا الذى أراه في عيونها وهي التي تراه في عيوني، يظن الخبراء العسكريين أن الحرب بدأت لأسباب كثيرة (عسكرية، سياسية، اقتصادية) إلا أن الحقيقة التي لا يعرفها أحد سواي ولم أخبر بها أحدًا إطلاقًا أن الحرب قد بدأت منذ عام بالتحديد في الواحدة ظهرا في آذار 1944

(فلاش باك)

وذلك حينما عدت إلى غرفتي فوجدت المظروف اللعين مذيل باسمها (نورا كما تُحب أن يُناديها الجميع)، وبالخطاب الملعون أربعة كلمات ملعونة (نفدت طاقتي وانتهت علاقتنا) كلمات كالسهام لم أدرك قوة الكلمة سوى

مرتين في حياتي يوم أن أخبرتني: (أحبك)، وقتها أحسست بعظمة تفوق برج إيفل، وفرحة تسع الأرض، والمرة الثانية في هذا الخطاب الملعون، خيَّم الصمت على حواسي ولم أعد مدركًا شيئًا، كل ما أنا فيه حقيقة أم كابوس!

لم أستطع تفسير الخطاب أو قل الخطاب لا يحتاج إلى تفسير ولكنه الحب، لا يرضى المنطق في تفسير الأمور، حينها فقط أدركت أن للطبيعة أن تغضب، ومن صور غضب الطبيعة الحروب والبراكين والأعاصير، فالطبيعة تشعر بالحب وتسعى إليه وذلك لا يدركه الجميع، فالحياة المليئة بالحب تجد الطبيعة فيها سخية، زكية، هادئة، ورائعة، الآن عرفت سببًا حقيقيًا لقيام الحرب وهو الأمر الذي يتحدث فيه العالم أجمع وأرسلوا لنا مذكرة استدعاء جندية، لم أنزعج من استدعائي للحرب غدًا، ولم تزعجني الحرب بقدر إزعاجي من فراقها ونفاد طاقاتها وكنت السبب لا جدال في ذلك،كم وددت لو استطعت رؤيتها وطلبت المغفرة ولكن لا أعرف عنها أي شيء سوى اسمها، عرفتها في اجتماع للحزب أثناء مناقشة بعض السياسات بعد الحرب العالمية الأولى، الحشد لأعضاء الحزب كان واضحا، وكنت ممن يحافظون على مقعدهم الأمامي وأثناء خطاب لأحد المسؤولين تتقدم نحونا فتاة تسير الهوينا، كما الغزلان، يد تسايرها ويد أخري تضعها على حقيبتها التي ترتديها، مرتدية الأسود كان حذاؤها وجواربها فقط بيضًا، لم أحب الأسود يوما ما ولكني أحببته فورا فإذا أردت أن تمنح قيمة للونٍ ما فَضَعْهُ على فتاة جميلة، ولكن

بياض وجهها مختلف، مبهج، فاللون تعرف جماله حينما تحمله فتاة جميلة، خُصلات شعرها حر طليقة، تلامس نسمات الهواء ترسم أجمل الصور التي تريح العين، كان وجهها يوُحى بالشجاعة والنبل، لم أتشجع أن أتقدم نحوها وأخاطبها فبدا من هيئتها أنها تنتمي إلى عائلة من الرأسماليين، ووقوفها بجانب مسئولي الحزب بدا واضحا لي أنها تنتمي إلى طبقة لا أستطيع القرب منها، علاقتي لم تتعد كونى فردًا في الحشد ليس أكثر، لم أكن خطيبا ثائرًا، مبدعًا، مفكرًا، منظمًا حتى للمؤتمرات، كانت علاقتى بالحزب لم تتعد كوني فردا يستفيد منه للحشد وأستفيد من عضويتى ببعض المزايا كاستعارة الكتب من المكتبة أو الدخول للمسرح مجانا.

جمعنا القدر مرة أخرى في الحزب، ولكن هذه المرة ليس حشدا أو تنظيما ولكن المكتبة وجدتها تبحث عن كتاب حول تاريخ الحروب، وهذا ما عرفته من خلال أمينة المكتبة العجوز والتي أشفقت على لهفتي لمعرفة ما تبحث عنه فتاة الأسود (هكذا أسميتها قبل أن أعرف من السيدة العجوز أن اسمها نورانا)!

اقتربت منها فلم تلاحظني، مما أصابني بشعور باليأس والخيبة وكدت أخرج من المكتبة ولكن تشجعت واقتربت منها أسألها عن كتاب تحمله بيدها.

نظرت تجاهي وجسدها توجه نحوي، الآن هي وأنا وجهًا لوجه لا يفصلنا سوى شبران لا أعرف ماذا قالت! أو كم استغرق قولها من الوقت!

وانتبهت وهي تقول فرصة سعيدة ،إلى لقاء آخر ..

تسمرت قدماي لا أعرف الرد، نسيت الكلمات أو وقفت في حلقي الكلمات، لا أعرف! رأيتها وهي تغرب كالشمس من المكتبة فيصيبها الظلام،، ظل قلبي يخفق بعاطفة غريبة لم أشعر بها من قبل، توجهت مُسرعًا للسيدة العجوز طالبا منها بعض المعلومات حولها:

فابتسمت العجوز وأخبرتني:

لا أعرف عنها شيئًا سوى أنها تكره القطط وتحب القراءة يوم الثلاثاء وتكتب الشعر لنفسها فقط

لا أظن أن تلك معلومات ذات قيمة ولكن هينا ما عرفت، فإنها تحب القراءة يوم الثلاثاء وهو اليوم الذى أزور فيه المكتبة ربما شيئًا يجمعنا مرة أخرى، ولكن هل علي أن أنتظر أسبوعا كاملًا حتى أراها، سبعة أيام، مائة وثمانٍ وستون ساعة، عشرة آلاف وثمانين دقيقة، لأول مرة في حياتي أدرك أن الأسبوع فيه هذه الساعات والدقائق، خرجت من باب المكتبة متوجهًا للخارج فوجدتها تقف على حافة الطريق، وفور أن رأتني قررت أن تمشي ويديها تحوطان الكتب، وبغريزة لا أعرف سببها توجهت نحوها سألتها: هل لي أن أحمل عنك هذه الكتب!؟

فابتسمت: أشكرك.

كانت دومًا ما ترد بأشكرك مع ميل خفيف بالرأس، ليس (أشكرك) كالتي نسمعها كثيرًا، كانت الكلمات تكتسب قيمة وجمالًا فور أن تنطق بها،

تشجعت ومشيت بجوارها قدماي تسير بشكل متوازٍ مع قدميها، وحذائي ثقيلٌ وقدميَّ كانتا تصدران صوتًا استطعنا سماعه ونحن صامتين، ضحكت وهى تنظر للحذاء وقالت:

والدي أيضا أعرف خطاه من صوت حذائه.

كانت تتكلم وقلبها يخفق بانتظام مع خفقان قلبي، لا أعرف أين ذهبت الكلمات وقتها والصمت سيد الموقف، موقف لا أود أن ينتهى بالصمت أبدًا:

أنا اسمى "ليث":

أنا نورانا والدى الذى اختار لي هذا الاسم.

-من الواجب علينا جميعا أن نشكر والديك على قدومك للحياة، ونشكر والديك على اسمك الراقي..

قادتنا أقدامنا لحيث لا أعرف!

وجدتها تعطيني كتابا وترجوني أن أقرأه فور وصولي، وودعتني وقد عادت من نفس الاتجاه الذي سرنا فيه طالبة مني ألا أتتبعها، احترمت رغبتها وظل نظرى يتتبعها ويديَّ تحيطان الكتاب حتى غابت عن عينيَّ، وأنا لا أعرف متى سألتقي بها ثانية أو كيف!؟

عدت إلى غرفتي وحواسي كلها في يقظة وبهجة لا أريد شيئا سوى أنا ألقي بجسدي، على وسادتي وأتذكر كل تفصيلة في هذا اليوم، أردت أنا أنحت في ذهني قسم للتاريخ أكتب فيه ما حوته الساعات الماضية، كم هي عظيمة

مشاعر الحب، تسطيع أن تجعل منك حكيمًا تتحكم في مُقدراتك، لم أتصفح الكتاب الذى أهدتني إياه، لا أريد أفكار تزاحم خيالات اليوم ولكن تذكرت وأنا أتذكر تفاصيل اليوم رجائها لقراءاتي للكتاب فور وصولي، وعلى الفور جذبت الكتاب نحوي كان يحمل عنوانًا مدهشًا(الحرب والسلام) كان الكتاب غير مستوِ الورقات، فكانت بين ورقاته ورقة مطبقة، مكتوب بداخلها:

أنا أعرف أن اسمك هو ليث من قبل، وأعلم عنك بعض الأمور التي ليست بالكثيرة وودت لو تقابلنا من قبل وجها لوجه، غدًا في الخامسة مساءً أمام بحيرة الرئيس سأنتظرك، لا تتأخر...

تملكني ذهول شديد لعدة لحظات قرأ الورقة مرة ثم مرة، توالت القراءات والخيالات تطوف حولي والنشوة تتصدر حواسي والليلة مرت بسلام وبهجة دون نوم!

ما أحوج المرء للنوم وهو يعيش أفضل لحظاته!

أشرقت الشمس وتوجهت للعمل باكرًا، وكان من العسير أن أنتظر موعد إنهاء عملي فقد توجهت للمكان التي أخبرتني به قبلها بثلاث ساعات، جلست أتخيل قدومها مرة من جهة اليمين، ومرة من جهة اليسار، أحاول أن أرتب مفرداتي لأُكوِّن جملًا تليق بها وتليق بعطمة الموقف، وها هي قادمة في تمام الساعة الخامسة تمامًا، ترتدي فستانًا أسودًا، تسير كما لو أن الأرض خلقت لحملها، رأيتها من بعيد وهى بكل هذا البهاء والجمال وهي تبتسم لى وتميل

برأسها، كنت أسأل وقتها كيف سمح الرب بوجود مثل تلك الملاك وسط البشر، وهل لهذا الملاك أن يحب شخصًا مثلي؟!

لا أعرف

اقتربت مني وقفت لها تحية فقد كنت أجلس على الرصيف

-عذرًا لا أعرف، مكان آخر هنا للانتظار، فكان الرصيف مرحبًا بي

قلت ذلك وأنا أبتسم خجلًا، مانحًا إياها دفة التوجه كونها صاحبة اختيار المكان

-فليكن الرصيف كريمًا ويرحب بي أيضًا، أجلس بجوارك.

قالت ذلك وهى تبتسم وتمسك ذراعي فجلسنا سويًا على الرصيف.

أطبقت يدي في يديها كطفل متعلق بوالدته.

أنظر إليها ولا أعرف ماذا أقول سوى أن أشير إلى السماء، وقد كان القمر مكتملا يُنير الأرض بنوره، أخبرتها عن أناس كانوا قد عبدوا القمر قديما.

شعرت أني أبله وأتحدث عن أمور بغيضة، فلم أجد نفسي متحدثًا عاطفيًا أو شجاعًا في الحديث عن أمور تودها الفتيات، فلم أشعر بشيء من العاطفة تجاه فتاة طوال هذه الأعوام من حياتي ولا أعرف ماذا يقولون أو حتى كيف يتشجعون لقولها! ظننت أن الحديث عن الطبيعة سيكون تمهيدًا لحديث طويل، كانت تجاورني كتف في كتف، التفتُّ نحوها

-أخبرينى كيف تعرفين اسمي ومنذ متى!؟

-أتتبعك منذ عام تقريبا أراك كل أسبوع في المكتبة وأنت تقرأ غير منتبه لأحد حتى كنت مرات عديدة أمر من أمامك وأنت لا تنتبه، رأيتك في المؤتمرات مواظبًا وأول الحاضرين، تجذبني جلستك وأنت تضع قدم على قدم منتبها لما يقال من صمت أو صياح، لفتني أنك لا ترافق أحدًا في نادي الحزب وهو أمر أفضله لأنهم جميعًا منافقون غير مكترثين سوى لمصالحهم، يكاد الشغف يقتلني حبًا كلما رأيتك.

-الآن وقد رأيت وجهي من قريب، مازال الشغف موجودًا؟! يقولون أن القمر جميل كلما كان بعيدًا.

-والجميل أنك لست قمرًا أنت بشر، وهذا ما يُميزك، الجميع يحب أن يتشبه بالقمر أو يتوددون لأشياء ترضي غرورهم، لكنك بسيط، غير متكلف واضح وهذه صفات نادرًا ما تجدها في رجل الآن ..

أنا في الثلاثين من عمرى ،وأعاني من أنيميا، ولا أملك شيئًا سوى بعض أثاث لغرفة في بيت للغرباء في وسط المدينة وأعمل كاتب لجريدة، لم أحصل على رخصتها بعد، وأنت فتاة في العشرين من عمرها، وجميلة، وتمتلكين الكثير الذي لا يستحقه مثلي.

-كل ما فيك لن يقلل من حبي لشخصك، وكل ما فيَّ تستطيع ملكه الآن.

ضمت يده ونظرت نحو السماء وبصوت دافئ تقول: أخبرني أكثر عن القمر، أحببت حديثك عنه.

استمر مجلسنا لساعات لا أعرف كم عددها وانصرفنا وقد اتفقنا على أن نتقابل يوميًا، في نفس الموعد لو أتيحت لنا الظروف أما عني فظروفي تتاح لها ولمجلسها أولًا، تعددت اللقاءات وكثرت الفراشات بشكل ملحوظ في المكان ترحيبا بنا، كنا نتحدث في كل شيء في الطبيعة، التاريخ، الفلسفة، السحر،الدين.

اكتشفت معها أمور عديدة ما كنت أكتشفها لو أكملت دراستي، نسينا أمور الحزب واجتماعاته بل نسينا كل شيء ،الحياة أصبحت أنا وهى فقط...

كانت اجتماعات الحزب تدور بيننا على الرصيف، والمدهش أن اجتماعنا كان مثمرا عما كانت تنتجه تنظيمات الحزب، أتذكر ذات مرة تحدثنا حول حول تاريخ الإنسان مع الحروب، وحتى تناولنا في الحديث تصحيح لبعص الصفات البشرية الآن، كالشجاعة، وكيف أنها أصبحت تُطلق على البلطجة والعدوان، الرفقة وكيف اندرثت أهمية الرفقاء في الحياة، وأصبح الفرد منا يميل للعزلة، الأناقة والتي أصبحت مجرد كلمة تُلفظ كتعبير عن المظهر دون الجوهر، الجوهر الذي فقد المعنى، لقد أهملت البشرية المعنى هكذا قالت وهي تميل برأسها نحوى كتفي، كم كان هذا الكتف محظوظ بكثرة ملامسة وجهها..

وكم عدد الحروب التي تمت في عدد من الدول؟! وهل كان لتلك الحروب النتيجة التي كان يرجوها مسؤولو الحرب قبل إعلانها!؟

على الرغم من كونها ثائرة وتحمل بداخلها أيدلوجية محددة اكتشفتها من بواطن كلماتها، إلا أن ذلك لم يؤثر عن الطهر والسماحة بداخلها، أخبرتني ذات مرة عن صراع نتج عنه آلاف القتلى وطرفي الحرب ينتمون لديانة واحدة، وحين أخبرتها أن التاريخ مكدس بمثل تلك الأمور القتل ليس له سبب ديني أو سياسي، سوى أنه هوس نحو السلطة والسيطرة، ومما أدهشني في حديثها أن مسئولي الحروب لو أتيحت لهم الفرص للحرب مرة أخري لقاموا بها دون تردد، ولن ينظروا للخراب أو الدم الذى حل بأتباعهم.

-للقتل يا عزيزي شهوة لا يستطيع أحد تركها طالما جرب أحدهم الدم.

-بالحب يا صغيرتي، أولم يستطيع الحب أن يمنع أحدهم من القتل والدم!!، ألا ترين أن كل الرسالات السماوية والغير سماوية لا ترفع شعار إلا وجدت الحب على رأسها.

-ربما، قالت ذلك وهي تبتسم وتحتضن ذراعي بشدة.

كم عدد القتلى التي خلفتها الحروب، وماذا لو استثمرت تلك الجهود في عمران الأرض!؟ سألتها وأنا أنظر نحو السراب الذي يُحيط بنا، لا يُحزنني سوى جنود أنهت حياتهم الحروب بعيدًا عن زوجاتهم وأطفالهم، أن تموت في الحرب لا يد لك في بدايتها أو نهايتها لهو أمر قاسي جدا، حتما للإله رحمة

خاصة بهؤلاء، حياة أخرى أو جنة الفردوس كما يخبروننا في بعض الخطب الدينية، أتُصدقين أن هناك حياة بعد الموت، قلت ذلك:

انتهبت لى وهى تقول: ما رأيك؟!

-كل الذي عادوا للحياة بعد حوادث موت أخبرونا إنه لا شيء سوى ظلام حالك، ولكن ليس عدلا ألا تكون هناك حياة بعد الموت، حياة أكثر هدوءا وسماحة وتعايشا وجمالا، مقارنة بهذه حياة، ليس عدلا بعد كل هذا الشقاء أن ينتهى كل شيء والظلام يسود، وأنا أثق في عدل الإله.

-ألا تؤمن بوجود إله؟!

-طالما هناك ملائكة، حتما هناك إله قادر على صنع جمال كهذا.

كنت منكرًا لوجود إله حتى التقينا، وشكرته على وجودك وسط البشر، قلت لها ذلك وأنا أطبع قبلة على جبهتها كم كان ملمسها دافئًا.

لماذا لم يتعلم الإنسان من التاريخ والكف عن قتل أخيه الإنسان والعيش بسلام!؟

الجميع يعرف مدى أهمية التاريخ حقيقية واضحة ولكن التاريخ يوجه لنا رسالة أخري بعد مرور مئات السنوات على كوكب الأرض أن جوهر الأزمة الحقيقية هي الإنسان ذاته، طبيعته كمكون بشري، وجد الإنسان وفيه كل التناقضات، الأمل واليأس، والخير والشر، والحب والحرب، والقتل والحياة،

ما لم يتوصل إليه التاريخ حتى الآن هو كيف يتم توجيه رغبات البشر للجيد دون الرديء!

-برأيك يا عزيزي أن حقيقة الصراع على الأرض صراع بشري، بشري وليس بشريًا فقط، إنه شيطاني.

-الشيطان ملاك ظلم نفسه وظلمته البشرية بعد ما توصلت للقنبلة الذرية، أعتقد أن من وقتها رفع الشيطان يده عن الأرض وانتظر يوم الحساب، وأظنه سيسعد كثيرا بما وصل له الإنسان من غوايات فاقت الشيطنة.

-أوليس الدين مفازة البشر على الشيطان!؟ ولماذا لم تسعفنا الأديان في العيش بسلام، ولماذا في كل ديانة، ينقسمون لملل وطوائف! وفى كل طائفة أو ملة حزب وفريق!؟

-الدين أي دين تقصدين؟! الأرض تعددت فيها الأديان وكلما كثرت السنين زادت الرسالات الدينية، وفى كل دين نفس القيم ولكن المحير فعلًا في الأمر: لماذا لا يتفق الجميع على دين واحد وإله واحد ولتكن الإنسانية مقصده!!! ولكن الغواية والسلطة والنفوذ كلها أمور تنحرف بعيدًا عن الوحدة، فتعددت الطوائف بتعدد المطامع، والعامة هم الضحية فيما يلقون.

-ماذا عن المصلحين الحقيقيين! هل هم الفلاسفة؟ أم دعاة الدين،أم السياسيين،أم المثقفين والمفكرين!؟

-الجميع يحمل راية الإصلاح لكن أرى أن العالم يحتاج إلى جديد، إبداع!، والإبداع دوما تجده عند الفلاسفة والمفكرين، تخيلي معي يا ملاكي: كيف سيكون العالم لو حكمته مجموعه من المفكرين والفلاسفة يمضون بعض من أوقاتهم في تأمل دنياهم، وتأمل حياتهم، وتأمل سياستهم، حتما سيتيغر الوضع في هذه الحياة، وكفانا قبح هؤلاء الساسة والمدعين.

-وما الذى يمنع من تقلدهم المناصب؟

-عليك بسؤالهم، حتما سيجيبون، فليس بمقدور أي إنسان أن يصمت أمام سؤال تسألينه!

سألتها الانصراف، وأنا مضطر، ولكن أعرف أن الليل في مدينتنا جد خطير، على الفتيات وخاصة الجميلات منهن.

ولجت للحي الذي أقيم فيه بعدما انتهت ليلة هنيئة أخري، وكل الأحياء تعرف الليل وتلتزم الصمت فيه إلا هذا الحي، يجدون متعة في صيحاتهم الليلية الحانقة، الخانقة،كل الليالي سكر وغناء وصخب، لا يهدأ إلا بعد سطوع الشمس بساعات.

كيف لي أن أستمتع بختام ليلتي وسط هؤلاء الأوغاد، ولأنه حي الغرباء كما يُحبون أن يطلقوا عليه، كون سكانه من متنوعي الجنسيات (إيطاليين، إنجليز، يهود، عرب)، وبناياته نُزل، وكالغريب يجب أن تكون دوما على حذر ففي حي الغرباء الجميع يري فيك ضحية مباحة ولا مدافع عنك، الحياة وسط

هذه الأجواء مُجهدة ولكن لا بديل، حياتي تمضي بعيدا عن الحي طوال الوقت ولا أعود إليه سوى لأستلقي بجسدي النحيل فوق سريري حتى صباح يوم جديد، لا أعرف أحدًا ولا أحد يعرفني، عزلتي ليست اختيارية، لكنها إجبارية، أود لو كانت لدى رفقة تؤنس وحدتي، وتشاركني مصاعب الحياة أو نتشاركها سويًا ولكن الرفقاء لم يرتق أحد ليكون رفيقي، الكل يراك مطمعًا وضحية مشروعة، رؤيتهم أشبه برؤية كبري الدول.

كانت الساعة تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل،كافأت نفسي بكوب من القهوة السادة، لم أكن أشرب القهوة، ولا السادة منها، ولكن أخبرتني ملاكي ذات مرة: أن السادة يشربون دوما القهوة سادة، ومنذ ذلك الحين أحببتها سادة، اتجهت نحو نافذة غرفتي الصغيرة المطلة على الخلاء الخلفي للنُزل، أحب النظر إلى الخلاء كثيرا، فكثيرا ما أجد جرعات من الراحة والاطمئنان وأنا أنظر إلى اللاشيء،كانت الظلمة كالحة ولا أعرف أين القمر الآن، لماذا لم يظهر في السماء؟! وأين أضواؤه؟! تذكرت حديثنا؟! حول القمر كونه إله سابق عند القدماء!، وكيف أيضًا تراجعوا عن كونه إلهًا، فكيف لإله أن يختفي، فحتمًا هناك إله أعظم شأنا، وهذا ما اتفقت عليه الرسالات السماوية لاحقًا.

أطلت النظر إلى السماء وعيناي محدقتان، كما لو كنت أبحث عن ما وراء هذا الغلاف الأزرق، أبحث عن شيء عظيم يستحق البحث عنه ومعرفته حق

المعرفة، قرأت فيما سبق لا أعرف في جريدة ما، أو دراسة سابقة، عن فيلسوف تحدث عن الله!

أحترم كل الذين يبحثون ويتحدثون ويفرضون رؤياهم حول الله، الأديان، الإنسان، أصاب أحدهم أو أخطأ علينا أن نحترمه، أن يوفر أحدهم جزءًا من ذهنه للتأمل بحثًا عن نور وعلم وهدى، لهو أمر عظيم يستحق كل الاحترام، نيتشه فيلسوف نفى وجود الله مما أثار الجدل والنبذ من قبل الدينيين، وكانت له مقولة "أن الله خلق البشري وقتله"!.

فكرة موت الإله التي طرحها لم تكن فكرة هو يحبذها بالمرة، بل كانت دعوة للحياة بشكل يليق بالحياة، تفكيك العلاقة المحكمة بين الكنيسة والفرد، باعتقادي أن المفكر ليس ضروريًا أن يكتب ما يؤمن به العامة، بل عليه أن يكتب عما يثير فكرهم ويضعهم في حال أفضل، موت الإله ليست فكرة إلحادية صرف، بل للمقولة احتمالات يجب أن نضع أحدهم في الأذهان نذكر:

-أن الله غير موجود ولم يكن له وجود مطلقًا.

- كان هناك إله جدير بالعبادة، ولكن هذا الإله غير موجود الآن، فإنسان اليوم يشعر أن الله مختف غائب وسط هذه الحروب والمجاعات.

- وهناك معنى هام ولطيف على العقل يفيد أن الرب يجب أن يموت في العالم حتى يمكن ولادته فينا.

ليس هناك مفكر يهمل المعنى بل يقويه ويزينه ولكن قليل من يدركون هذا، اختلفت الآلهة مع اختلاف الأديان ولكن المعنى واحد لا يتغير، تلك الحقيقة التي أميل لها في كثير من الأحيان لابد من وجود قوى عظيمة تدير هذا الكون العظيم أيضا بعظمة خالقه، ولكن لا أخفى على نفسي سر في الحرب الأخيرة والتي دمرت العالم رأيت صور شتى من الدمار مدن اختفت، أسر تشتت، أطفال لا مأوى لهم، جوع ساد العالم لسنوات، الجميع مغتصب والجميع ضحية،كلها أمور تغذي فكرة موت الإله لدى البعض.

كيف بدأ الخلق وهل تطوره كان تطورا حسنا أم أنه ما كان عليه أن يتطور!؟ أقول لنفسي هذا السؤال دوما: إلي أين الإنسان؟! أعتقد أن ذلك السؤال سيكون حديثنا في الغد، كما تسعد الكلمات حينما تخرج من فمها،كيف لنا أن نتحدث في تلك الأمور العظيمة، حقيقة أن الأمور تكتسب عظمة من طرفي حديثها وهي كانت لا تتفوه سوى بالعظيم من الأمور،كنت أود لو حملت مدونة خاصة وقلم كي أكتب ما تقوله، كل ما تقوله متعلق بالحياة ومفيد، سياسة، تاريخ، أحياء،كيمياء، كانت تحب الكيمياء جدا، تحدثنا عن السحر وعلوم الغيب، أذكر ذات مساء، دنت منا عجوز ثقيلة الحركة، منحنية الجسد، بدا من وشمها الأخضر فوق جبهتها أنها تنتمي لجماعة الغجر الذين يدعون معرفة مستقبلك، صوبت نظرها على كلتي يدينا المطبقتين علي بعضهما وابتسمت.

-ترى عيني الآن أن زواجكما سيكون قريبًا وليس هناك عسير في الأمر، ولو أعطيتني عشرين روبل سأخبرك تفاصيل أكثر تود معرفتها لتنال قلب عروسك.

-لكن نحن متزوجان بالفعل، قلت لها ذلك بعفوية (اعتبرتها نورانا فيما بعد ذكاء)، وابتسمت لها ووضعت في يدها ما كنت أملكه من نقود ليس لصحيح قولها ولكن لرسمها ابتسامة على وجه ملاكي.

مر ثلاثون يومًا كانوا الأعظم في حياتي، لم أر فيهم سوى كثيرا من الجمال، التسامح، الكرم، الخير، الود، كل ذلك هو مفهوم الحب.

أخبرتها يوما أن ظروف علمي ستمنعني من رؤيتها هذا الأسبوع، فرضيت وقالت عملك مهم ولابد أن تستقيم فيه لتتطور وتتميز وسط أقرانك.

الحقيقة لم يكن لعملي دور في عدم رؤيتها، بل التفكير في علاقتنا، كم أرهقني التفكير في الأمر ،كيف لفتاة رائعة مثلها أن تتحمل وتتقاسم معي صعوبات الحياة، مثلها خلق لتقدم له السعادة، أما أنا فقد كنت متمنيا لها السعادة فقط دون تقديمها لها بشكل جدي، صارحتها بذلك فكان ردة فعلها أن ابتسمت وقالت:

-لا تحمل همًا، فالقادم حتما سيكون سعيدًا ما دمنا معا.

كانت دائمًا جميلة حتى في رؤيتها لما قد يكون، كلمة "معا" دوما ما تتفوه بها كعلامة للتيسير وتخطي الصعاب، كانت لي بمثابة الدافع والمحرك والمساند، كل جوارحها كانت تُخبرني بذلك ،لكن كان شيطان الغباء يحوم حولي وقتها، وطلبت منها أن نكف عن لقاءاتنا لحين ميسرة، صمتت ولم تتفوه بكلمة، لمحت في عيونها كل كلمات العالم، وددت لو تملكتني الشجاعة وقتها ووضعت رأسها على كتفي وربتُّ على جبهتها معتذرا، لكن ما الذى أصابني وقتها! لا أعرف!

وانصرفنا، ولم تنصرف هي من داخلي.

عدت إلى غرفتي فوجدت مظروف استدعاء للجندية صباحا، فالحرب قد بدأت لم أنزعج من الخبر فلدي ما يزعجني أكثر من الحرب، ثم إن الحرب لابد أن تبدأ الآن! والآن بالتحديد، وقت ينهار فيه الحب، لابد أن تغضب الطبيعة، خيم السكون على الحي بكاملة ليس هدوءًا مطلوبًا، ولكن حزنا على حرب تبدأ غدًا، كان هذا الليل هو الأطول والأقسى علي منذ ولادتي لم يمر كسابقه، اختلف كل الاختلاف، وددت لو أذهب إليها معتذرا عما بدر مني، ولكن لا علم لي بمنزلها شُل تفكيري!

صباحا أذهب إلى الحرب وهو أمر لا هروب منه ولا أعرف كيف أتصرف جراء هذا الفعل الغبي الذي صدر مني تجاهها، اتجهت نحو طاولة بجوار النافذة ووجدت بدرجها وقة بيضاء وكان لدي قلم يكاد يكتب.

وقررت أن أكتب لها:

لا أعرف كيف جائني هذا الحدس ولكني سأطيع حدسي فدوما كانت تخبرنى بأن حدسي صادق، فقررت الكتابة وأن أتركه لعل القدر يجمعها بهذا الخطاب فتغفر لي عدت حيا أو ميتا ..

"حبيبتى..أشكر الرب الذى وهبني القوة في ساعدي كي أكتب لك الآن،،

حبيبتى

أشكر الليل الطويل الذى منحني الوقت كي أمنحك بعض المشاعر،،

حبيبتي

أشكر الحدس الصادق الذى دوما ما تخبريننى بصدقه واتباعه حينما يطمئنني علي جمعنا مرة أخرى،،،

حبيبتي

أشكر كل العواطف التي تثير فينا كل جميل وتنير لنا الطريق،،،

حبيبتي

أكتب لك الخطاب الأول والأخير وأنا في طريقي للحرب ولا أعرف لي مصيرًا، سوى ساعات أبرهن فيها عن مقدار حبي وصدق مشاعري تجاهك،،

حبيبتي

أكتب وأنا كلي إيمان بالله فهو وحده القادر على ترتيب لقائنا مرة أخرى، إيماني بأن الحب هذا الأمر الغير مادي يرسله الله رحمة للأنقياء والأتقياء، وأنا نقي وتقي من خلالك، الحب حظ المساكين، والمساكين أمثالي ليس لهم سوى الله.

حبيبتي

ليس هناك أية كلمات قادرة على تقديم اعتذار عما بدر مني اليوم، ولكن ما أستطيعه قوله أنه ليست هناك قوة قادرة على أن تفرقنا ونحن أجدر بالاختبار حتى لو كانت الحرب، الحرب بدأت فور انصرافك عني حزينة وغاضبة مني، فالطبيعة لها رغبتها ورغبتها تبنى على الجمال والنظام وانصرافك لهو خلل في الجمال والنظام، أكتب على ضوء النجوم وفي سكون الليل، ولدي خفقة في القلب وثقة في سماحتك" ...(قدرك ليث)

ها هي صافرة الإنذار الأولى تطلق استعدادًا للنزول باتجاه المعسكرات، قد ضربت وقد انتهيت من الخطاب.

وضعته في درج الطاولة وأمنيتي أن تجده أكبر من أمنيتى أن أعود حيا ،،

2

إنسان

تتجه نحوى فتاة مبتسمة، مبتهجة وكلما دنت مني تباطأت خطاها، وتحولت ابتسامتها لضحكات تتعالى، أنظر نحوها مندهشا، متسائلًا عما يُثير ضحكاتها هكذا، فلست بشخص يلفت أنظار الفتيات حتى القبيحات منهن، تمر بجانبي وتستمر فى الضحك وهي تضع يدها على فمها كالبلهاء (دوما أسأل نفسي لماذا يضع الفتيات أيديهن على فمهن وقت الضحك فأرى أن جمال الضحكة فى حريتها، ولكن المؤكد أن البلاهة صفة لصيقة بهن تناسبهن تناسبا طرديا مع مفاتنهن)! استمرت قدماي فى طريقها متناسيًا ما حدث، وإذ بسيدة عجوز بدانتها تزاحم المارة تفترش الطرقات، وتطلب نقودا لمساعدة صغارها اليتامى اتجهت نحوها وفى يدي ورقة نقدية، وجدتها تضحك أيضا كلما دنوت منها، ضحكاتها تُثير الغثيان فضلا عن رائحتها الكريهة، كما لو كانت مدفونة حية فى هذا المكان، تقدمت إليها بيدي وهي من كثرة الضحك سقطت على الأرض طالبة مني أن أتركها وأرحل فهي لا تريد مني شيئًا! لا أعرف ماذا يحدث، ماذا بي يثير الضحك هكذا من هؤلاء النسوة المحسوبات خطأً على النساء وربما على البشر كافة، لا أعرف؟!

أنظر لملابسي؟

أتفقد بنطالي بين قدمي لا شيء!، لا شيء غريب!

أتلصص النظر فى زجاج السيارات فربما ملامحي أو شعري (فدائما شعري ما يكون فى حالة تمرد)ولكن كل شيء على ما يرام!؟ تقدمت خطوات وجدت رجلًا يقف فى شرفته ويشير نحوى بيده ويضحك وسرعان ما جاءت أنثاه، والتى شاركته الضحك، ماذا حدث لهؤلاء أو ماذا يحدث لي أتساءل؟! أهى التفاهة والسخرية والتنمر أصبح سلوكا وطريقة تعبير أم ماذا!؟ أتعبتني الحيرة وأرهقتني الدهشة!؟

تحيطني الآن ضحكات وصخب لا أعرف ما سببه، كلما مر أحدهم أو إحداهن تعالت ضحكاتهم وكلماتهم غير مفهومة لي!؟ حتى كلماتهم مبهمة غير واضحة، أنا أتفتت داخلي ويُميتني السؤال دون الإجابة، آهي الحكومة هي السبب؟! يقولون أن النُظم الديكتاتورية يُصاب أفرادها بداء التفاهة وكلما زاد القمع والبطش زادت التفاهة والسخرية، انتبهت لأحد المارين بجوارى فوجدته بذيل (ذيل ،نعم ذيل أشبه بذيل الحمار)!!

فركت عيناي سريعا وبقوة وصوبت النظر فيمن حولي فوجدت الجميع له ذيله الخاص والذى يشبهه، عدت من حيث أتيت ونظرت نحو الشرفة فوجدت الرجل وأنثاه مازالا يضحكان وذيولهم تتمايل خلفهم فأسرعت خطاي، فوجدت العجوز الشمطاء ذيلها يحوط قدميها فهربت من أمامها نحو منزلي، فصادفت البلهاء من خلفها وذيلها يتزين بشريطة حمراء، تفحصت نفسي وبسرعة لم أجدني بذيل مثلهم جسدى مازال كما اعتدته، أنا إنسان،

مازلت إنسانا! ابتسمت وصمتت جوارحي جميعها وتسربت من عينيي دمعتين، وأنا أقول: أنا إنسان،،أنا إنسان.

3

المكتب

فور عودته لمكتبه سالما بعد رحلة مرض دامت لأسبوعين، لم يكن أحدا يعرف أين هو أو ما حاله!؟

أخفى على الجميع ذلك، ولم يكن شيئا غريبا بالنسبة لشخصه، فمساراته لا يعرفها أحد، فقد ذهب لمدينة ساحلية نادرا ما يزورها بشر، حينما شعر بالمرض وصخب الأفكار فى ذهنه تؤرقه، عاد ولكن شحوب وجهه واصفرار عينيه يخبران الجميع أن وعكة صحية قد ألمت به، وأول من بادر بالسؤال عن صحته، وأين كان طوال مدة الأسبوعين (منال)، مسؤولة ومديرة مكتبه، منال امرأة هي في الأصل صديقة دراسة وكانت من أشد المعجبين به ولكنه كان ولا يزال يخلو من المشاعر تجاه العاديات من النساء، يعتبرهن غير موجودات أو لا يستحققن شيئا من اهتمامه، فتزوجت بآخر بسرعة فور تخرجها، وبسرعة أيضًا كان الطلاق كعادة الزيجات التى تتم في مثل هذا السن، فغالبا ما يكون الزواج وقتها لرغبات خاصة (جنس، مال، حياة مستقلة)، وبعد انفصالها لم تجد فرصة عمل مناسبة لشؤونها الخاصة سوى معه، صديقة ومعجبة وبعض الأمور الأخري، التى يتشاركان فيها سويا خفية، وحينما سألته لم يُجيبها على سؤالها ودخل مكتبه ولم يُنر حتى الأضواء وظل ماكثا، صامتا، مغمضا عينيه، موجها جبهته نحو سقف الغرفة، ودقائق ورن هاتفه ولم يُجب، واستمر فى الرن ولم

يجب، ومنال في الخارج تحاور نفسها تسأل لماذا لم يجب أو حتى يغلقه ولكن الحقيقة أن رنة هاتفه لم تكن أبدا مزعجة، بل كانت موسيقى شوبان تساعد على الاسترخاء والولوج لعالم اللاشيء الذى يسعى إليه دوما، توقفت رنات الهاتف، تسأل منال نفسها، الهاتف قد فصل شحن أم أن المتصل قد أدرك أنه لم يكن مطلوبا أو مرغوبا به؟! سمعها تتمتم مع عم سيد موظف أخر بالمكتب، فتوجه إليها وقبل أن يسألها ماذا تقول رن تليفون المكتب الأرضي فرفعت سماعة التليفون، وإذ بصوت أنثوى حاد وناعم ودافئ ومتلهف، يسأل عنه، فتخبره منال بأن إحداهن تسأل وهي من كانت تتصل على الهاتف ولم ترد عليها، فلم يُجب، فأخبرتها أنه نائم الآن، دار حديث لمدة دقائق بينهن استشعرت معه منال إنها فتاة أخرى قد سقطت فى بئر قلبه وتستغيث به، مجرد دقائق وقليل من الجمل فهمت منال مدى اشتياقها له وحبها ولهفتها لسماع صوته (فلا تفهم المرأة سوى امرأة)! ولكن كيف حدث ذلك ومتى؟!وأين!؟ هل مدة أسبوعين كافيين لوقعها فى الحب! قالت ذلك منال وهي في طريقها لغرفة مكتبه مستشيطة غضبا ولا بتالي بنومه المصطنع، من تلك التى تهرب منها!؟ هذه الفتاة مسكينة ومولعة بك، عرفت ذلك من نبرتها، أخبرني لماذا تهرب منها!؟ إن أحببتها فأجب اتصالها وإن لم تحبها فأجبها أيضا، وأخبرها أي شيء، المهم أن تسمع صوتك، ومن ثم ادخل في قوقعتك وبُئسك الأبدي مرة أخرى، نظر إليها ولكن لم تكن وقتها مديرة المكتب التى تتحدث بل صديقة

تعرفه جيدا وتحاول أن تساعده على تجاوز فكرة عدم الارتباط، نظر إليها نظرة سريعا وعاد لوضعه موجها عينيه للأعلى وهو يقول أنا أخاف، أخاف أن أُخيب أمل إحداهن، أى فتاة هي بخير بدوني ومعي سرعان ما تشعر بالخيبة وأنا لا أود ذلك (يقول)،أنت مخطئ بالتأكيد تحيطك كثيرات جميلات كلهن يتمنون مصادقتك ويحلمون بمجاورتك ويسعون لولوج قلبك مستسلمين (أنت رجل ناجح،ذكى) تقول منال، قاطعها على الفور قبل أن تكمل، أتعرفين ما هو الأسوأ بنظرى؟ أن الجميع لا يعرف ما معنى أن تكون بائسا!

(قال) ذلك وأغمض عينيه..

4

الميت

خيم الليل بشرفتي وحيدا أجلس على مقعد من الخشب ذي الذراعين المطرزين بعناية، ووسادات قطنيه ساندا رأسي للخلف متجها ببصري نحو السماء المرصعة بالنجوم أُحاول تشكيل رسومات متنوعة من النجوم المتقاربة (نجمة، مثلث، ذيل، قرن بقرة، كلمات كـأحبك)! كنت بارعا أو أظن في نفسي البراعة في تشكيل النجوم بأشكال مختلفة وهو أمر أواظب عليه كل ليلة وهذه الليلة كثيفة النجوم وهادئة رائعة باكتمال القمر، كانت ليلة على غير المعتاد في جمالها وصفائها مقارنة بالأربعين ليلة الفائتة، أقبض بيدي اليمنى على زجاجة نبيذ قد فرغت إلا قليلًا، رجهم بداخلها كالبندول محدثا صوتا خفيفا، مرت الساعات الأخيرة من هذه الليلة وأنا على هذه الحالة دون حركة أخرى، وكلما اقتربنا من الغسق زادت الليلة روعة أنستني كآبة سابقاتها والتي كانت تمضي أيضا في الشرب والنوم ولكن لم تكن بهذا الهدوء والصفاء الذى أشعر به الآن، هجرتني اليقظة وأُغلقت عينيَّ وهدئت أنفاسي حتى الصباح، وبعد ظهر اليوم وجدت نفسي منتصبا على طرف إحدى مقاعد كنيسة سانت موريس جالسا وسط عدد قليل من الأشخاص المتوشحين السواد أعرف بعضهم والبعض الآخر لا أعرفه، وبدا من ملامحهم وصمتهم أن شخصا ما قد مات، وهم الآن في حضرة جنازته منتظرين نيافة الأُسقف بخطابه الأخير قبل دفنه!

أسأل أحدهم بجوارى من مات يا عزيزي!؟

لم يجب ولم ينظر حتى إلي:

ربما لاحترامه الحدث أو ربما لتواجدي في هذا الحدث مرتديا ملابس النوم وهذا أمر غير لائق، أعترف بذلك ولكن لا أعرف كيف خرجت من مسكني بهذه الملابس!

لا أتذكر شيئا على الإطلاق سوى جلستي في شرفتي متأملًا النجوم، لا أعرف لماذا لا أتذكر ماذا حدث بعدها!، وما الذى أتى بي إلى هنا وأنا لا أحبذ التواجد في المناسبات الاجتماعية وخاصة حفلات التأبين، الجميع الآن في صمت انتظارا لنيافة الأسقف في خطاب العزاء بعض المتواجدين أعرفهم جيدا

هذه السيدة إحدى جاراتي في البناية أراها كل يوم أثناء عودتها في الساعات الأخيرة من الليل، لا أعرف من أين تعود أو أين تعمل! لكوني منعزلا ولست اجتماعيًا كفاية لأعرف طبيعة عمل هذه السيدة، وددت لو كنت اجتماعيا، فكانت لتكون أولى مهامي هي التعرف عليها، ومرافقتها أيام الأحد من كل أسبوع.

ولكن طبيعة عملها، أستطيع أن أخمنه من ملابسها المتنوعة والمزينة على الدوام، إما أن تكون ممثلة مسرح أو فتاة ملهى ليلي ولكن أُرجح الأول كون زينتها ليست بالأمر الفج، المتواجدون أناس أعرفهم وآخرون لا أعرفهم

يتهامسون فيما بينهم ولحظة قدوم الأسقف لإلقاء خطابه صمت الجميع وهاهو قد بدأ كلمته:

الرب قد خلقنا لمهمة عظيمة على الأرض، ومنا من ينجح فيها، ومنا من لم يحالفه الحظ ولكن الرب عظيم، رحيم بأبنائه فلا تخشوه وظنوا فيه الرحمات وادعوه بالرحمة على المرحوم أخينا / إدوارد جورج إدجر

كان شابًا خلوقًا، هادئًا، ولم يصدر منه أمر أزعج رفقائه بشهادتهم.

استولت عليَّ دهشة عظيمة أفقدتني التركيز فيما يُقال بداية من سماعى الاسم (إدوارد جورج إدجر)

وقفت وبصوت هادئ مسموع،: من يا سيدي الأسقف!!

لم يجب واستمر في خطابه المحمل بكلمات الرثاء ولم ينظر إلي ولم ينتبه لصوتي!، وحينما ذكر الاسم مرة أخرى بوضوح (إدوارد جورج إدجر)

فصرخت واقفا: أنا حي لم أمت سيدي الأسقف .

الآن قد بدا الأمر واضحًا فهذا عزاء موتي!

ولكن كيف، وأنا حي الآن أُدرك كل شيء، وحواسي الخمس مازالت تعمل جيدا وأتنفس كما يتنفس الآخرين!

لم يجبني الأسقف أيضًا ولم يعرني النظر، اتجهت بقدميَّ نحوه وأنا أتحدث إليه ولكن بدوت وكأننى غير موجود، نظرت نحو النعش وجدت اسمى عليه، وأنا كلي اندهاش وصدمة، اقتربت أكثر وكشفت عن وجه الميت (فوجدتني).

شعُرت بهزة أرضية أفقدتني التوازن والنطق، تقدمت نحو الجالسين مستمعي الخطاب بعضهم يهتم والآخرين يتهامسون بما لا يُناسب الحدث، أعرف هؤلاء المتهامسين جيدا إنهم جيراني في السكن رجل وزوجته اتجهت نحوه ولكنه لم يرني، صرخت في الجميع وأنا أهز أجسادهم ولكن دون فائدة تُذكر، هل أنا ميت بالفعل ؟!

ها هي ليزا الأرملة الحسناء بالتأكيد هي التي ستعرفني وتشعر بي فور اقترابي منها، اقتربت ولكن بدت منشغلة بتزيين ملامحها بالنظر في مرآة صغيرة داخل حقيبتها

علي أنا أتقبل الأمر

فالعزاء عزائي والموت حالتي

ولكن لماذا الآن!؟ لماذا يحضرني الموت وأنا بهذا العمر!؟ ولم أحقق شيئا في حياتي، هل لأن الرب أدرك فقداني لأية أحلام أسعى لتحقيقها!؟

أم عطب قد أصاب إحدى وظائف جسدي فجأة فقضى علي؟

أو أن الموت حياة وقد بدأت حياتي الآن بعدما مررنا بالدنيا وما فيها من وحشة كانت مجرد تجربة!؟

لم أعد أعرف أو أفهم شيئا، المثير في الأمر كيف أشعر بموتي ولماذا أدرك هذا المشهد إن كنت ميتا، هل الموتى يُدركون ويُشاهدون ما يحدث بعد خروجهم من الدنيا، وإن كان، فلماذا!؟

ما أقسى على الإنسان من أن يشعر بالموت وسط الأحياء، ولكن ما الفرق بين موتي الآن ولا أحد يشعر بي عما كنته بالأمس حيا ولا أحد يشعر بي، هنا موت وهنا موت آخر.

أرهقني التفكير ومر الوقت أقدره بعشر ساعات ولكن الأسقف مازال في بداية الخطاب، يبدوا أن الوقت يختلف بعد الموت عما قبله، اقتربت من الصندوق الخشبي وجلست بجواره وما إن رأيتني بداخله أمطرت عيناي بالدموع وأصابتني تشنجات، وصرخت بكل قواي صرخات كثيرة تهادت، تحسست يدًا تربت على كتفى تفاجأت فرحًا وانتفضت واقفا وجدت طيفا لشيخ فى جسد شاب شعره الأبيض الطويل ولحيته المهذبة وبنبرة هادئة وصوت قوي طلب مني الهدوء، وأخبرني إنها بداية السعادة، فالسعادة التي يسعي لتحقيقها الإنسان في الدنيا لا تبدأ إلا حيث يفنى جسده ويُدرك أن الروح خلقت لتجاور الرب في العُلى سعيدا راضيا بما عليه وفيه، وبعدما ظننت أن أحد الأحياء قد لاحظني وتحسسني ولكن بتلك الكلمات وهذا الطيف فلا مفر من كونه ملاك من السماء يشفق على حالتي فأراد تهدئتي وطمأنتي.

سألته وإن كانت السعادة والرضا حينما يفنى الجسد، لماذا كل هذا التعلق بالدنيا، والتعلق هنا فطري يولد مع مولدنا فتزيد رغبتنا في العيش في الجسد كلما زاد العمر تمسكنا بالدنيا وكرهنا فراقها!؟

ابتسم وأشار بيده نحو الجالسين وطلب مني أن أنظر في اتجاههم وهو يخبرني أن هذه الدنيا التي تتعلق بها متمثلة في هؤلاء، أسقف يرثي شخص لا يعرفه ليس لكونه رجلًا صالحًا ولكن لينال الرضا المجتمعي وبعض من النقود جزاءًا لخطابه.

ليزا الأرملة الحسناء التي تسببت في كثير من الخلافات الزوجية في المدينة بعد تعاظم خطاياها مع الأزواج وهى الآن تتزين في العزاء تجهيزا لخطيئة مع أحد الحضور وبعدها تقوم بابتزازهم

وهذا الشرطي الذي يحضر العزاء ليس لمعرفته بك ولكن لأمر آخر، تأمين حفظ هذا الحقائب السوداء بداخل أحد أركان الكنيسة بالاتفاق مع الأسقف مقابل حصة من المخدرات التي تملأ الحقائب، وأمور أكثر فظاعة تجدها بالخارج.

يا بنيَّ الدنيا لا يُبكى عليها بل يبكى منها، ربتت يده على كتفي مرة أخرى فنظرت تجاهه فلم أجده تلفت حولي باحثا عنه دون جدوى نظرت نحوي داخل الصندوق الخشبي ووضعت قدميَّ بداخله وأرحت جسدي واضعا يد فوق يد، وأغلقت عينيَّ، وأنا ميت مطمئن!

5

كورونا

صَعَدَتْ به على قمة جبل بمزارع مدينة ووهان، بعد أن أكدت النتائج الطبية الأخيرة أن مرض كورونا قد تفشى في خلايا جسده، ووفاته أصبحت حتمية، رفضت هي كل عروض العلاج للمرض فلم يتمكن منها كزوجها، رفضت أن تحيا حياة دون روحها الحقيقية، مرت ثلاث ليالٍ على قمة الجبل ولم تشرق الشمس على المدينة مدة أسبوع وهي تعانقه وصدرها يضم رأسه وتراقب أنفاسه السريعة وعيونه الضيقتين المغرورقتين بالدموع لا يستطيع النطق، حتما لو نطق لحثها على العودة والاحتماء بالسكن، والمؤكد أنها كانت لا تبالي، فطالما جمعتهم الحياة، فليجمعهم الموت، ولأن القدر يبقى رحيمًا بالصادقين في عشقهم رحمة بالكون في مواجهة قبحه المنتشر، فقد أشرقت الشمس وأول من استقبل أشعتها كانوا هما فشعرا بدفء قليل وأصابته قشعريرة أحيت فيه أطرافه و...

6
د/هيومان

فقد العالم ذاكرته بعدما استيقظ من نوم متواصل مدة أسبوع كامل لم يكن هناك بشري على الأرض قادر على الصحو والحركة وذلك بعد أن قام الدكتور هيومان فجر الأحد بنشر المادة الكيميائية (بريدسينس)! عن طريق طائرة آلية نفاثة قد اشتراها خصيصا من السوق السوداء والتي تتميز بسرعتها حيث أنها تدور حول العالم في أقل من ست ساعات بتحكمه فيها من مكانه والذى أثرت على العالم بأعظم مما رغب بكثير، استيقظ العالم مرهقا، مضطربا، حائرا، تائها، صامتا، والصمت بعد الصحو من التخدير كانت إحدى الآثار التي حافظ على تأكيدها في تركيبته الكيميائية، وكان الفرد يستيقظ منتصبا في موضعه، ساكنا غير قادر على تحريك أوصاله، صامتا لا يعرف الزوج زوجته ولا يعرف الابن والديه ولا الأخ أخاه.

قرر د(هيومان)، صنع التركيبة كيميائية وعكف على تعبئتها بالتحديد في سبتمبر 2500 ميلاديا كانت السماء ضبابية كثيفة السحب والنهار لا يُطاق من شدة الحرارة، والعالم يحتفل بعيد عالمي هو يوم (الإنسانية) والناظر في الأمر، لم تكن هناك أية إنسانية على الإطلاق، إلا أن العالم قد اعتاد أن يخترع عيد لكل أمر ينقصه، وجدوا نقصًا في الحب فصنعوا له عيدا، وجدوا انقطاعًا للأرحام

فاخترعوا عيد الأم وعيد الأب وهكذا،، صنعوا عيدًا للإنسانية ليس لأي عظيم قد حققه الإنسان ولكن دعوة للتذكير بإنسانية الفرد منا، وأملًا في ترسيخها مجددًا، حيث إن العالم في ذلك العام تحكمه الآلات والتكنولوجيا فلم يعد للإنسان أي دور يُذكر في الحياة، والطبيعة سئمت الآلات وندرت الحيوانات واقتلعت الأشجار وفاضت الأنهار وزادت الجريمة، ومع ازدياد التكنولوجيا زاد الانحراف حتى أصبح القتل وهو أعظم الجرائم بكلمة ينبسها أحدهم لآلة ما فتنفذ له أمر القتل بكل سهولة ودون تراجع.

(العالم يحتاج إلى إعادة ترتيب شؤونه من جديد) تلك أشهر الكلمات التي كان يواظب على إلقائها في محاضراته، كان مرهف المشاعر ومرهق بجوهر المعنى اللاموجود ويسعي لإيجاده!!، لا أحد يعرف بمخططه سوى زوجته والتي كانت تشاركه الحلم ولكن لم يتعد الأمر بالنسبة لها سوى حلم ولا يمكن تحقيقه، ولكنها أيضا الوحيدة التي نجت من التخدير الأسبوعي الذى أصاب البشرية والأسبوع بالنسبة لها لم يكن سعيدا فالخوف والقلق سيطرا عليها أفقداها الحديث في الأمر وجعلت من غرفتها ملاذا بعيدا عن زوجها

طيلة الأسبوع لم يهدأ د .(هيومان) بل كانت تعمل كل ذرات جسده وتعاونه آلاته الخاصة وبرامجه واللذان ساعداه في التوجيه والإرشاد، فور استيقاظ البشر من خلال شاشات الرصد أو أجهزة التواصل التي لا يخلو منزل منها، وكانت أولى البيانات التي ترددت على مدار 24 ساعة أول يوم

استيقاظ:

"أن تكون إنسانا خير لك من ألا تكون".

اليوم بدأ العالم من جديد بعد المصاب الذى أصابنا جميعا، ولتجنب ما حدث من موت جزئي علينا أن نُعيد ترتيب شؤوننا بأن نكون رحماء فيما بيننا، ونكون جميعًا أخوة لا يفصلنا حد أو نهر، وسنوافيكم الأيام القادمة بالتفاصيل،،،!

ظل هذا البيان يتردد على المسامع في المنازل والطرقات حتى بدأ بعضهم يردده دون تركيز

أدرك د. (هيومان) أهمية أن يقوم بإعدام كل الآلات المتقدمة والتي تبسط حركة الإنسان خلال أسبوع التخدير.

مضى الأسبوع الأول والبشرية تكتشف العالم من جديد، وحينما يكون البشري تائهًا تجده مسالمًا، متعاونًا لا يخونه تفكيره، فالتفكير كله موجه للتعرف على الأشياء والعمل على سد الحاجات المنزلية،كان يُتابع د.(هيومان) البشر عن طريق طائرته والتي ترسل الصور لموضعه، فسعد لما يحدث الآن، سارع إلى غرفة زوجته حاول أن يُريها ما يحدث وأنه قد نجح والأسبوع الأول مر دون جريمة واحدة على مستوى العالم، أو انحراف يؤذى الآخرين، لكنها لم تلتفت إليه ولم تكترث لما يحدث وظل الصمت سيدها، بدأ الأسبوع الثاني وقد قرر الاستعانة ببعض الأفراد والاستغناء عن الآلات لمواصلة نجاح فكرته

ووضع بيانات تساعد على الحياة بهدوء ومما زاد رغبته في ذلك شعوره بالإعياء الشديد.

فوقع اختياره على شخصين لم يكن يعرفهما مسبقا ولم يرد أناسًا معروفين لديه مُسبقا حتى يبعد التمييز في العلاقة فيما بينهم أو يضعف معهم ويشاركهم السر والتركيبة والخطة فيطمع أحدهما

كانا (جاك وروبن)

أطلق أحدهما مزحة منحلة في بادئ الأمر نزلت على د. (هيومان)نزول الصاعقه وكشف ذلك عن بلاهتهم، مظهرهما لا يوحي بأي خير، سُذج ،ذكاؤهما معدوم ،ثرثاران في الحديث التافه لكنهما أبدوا له الطاعة التي يبغيها ومحاولتهم المساعدة قدر المستطاع.

بدأت مهمتهما في تعطيل بقية الآلات التكنولوجية التي تعيق حماسة البشر وحركتهم وتدوين البيانات وإلقائها وطبع التقارير ومراقبة سلوك البشر وتوجيههم، مضت الأيام الأولى مستقرة إلى حد مقبول فقرر د.(هيومان) مكافأتهما بأن وضع لهما لقبًا قبل بداية أسمائهما، وإعلانها للبشر تقديرا لدورهم في مساندة البشر في تيسير عملهم، الوزير الأول (جاك)، والمعاون الأول (روبن)، فرحا كثيرًا بذلك فكانت طبيعتهما سلطوية،

كان المساء يحضر ويرافقه ألم د.(هيومان)، يمنعه من استكمال عمله وتكرر الأمر وزاد، شعرا بالزهو كلما زاد إعياؤه فوسعا من سلطتهما بإصدار

البيانات، دون علمه والتي تزيد من سلطتهما وما زاد من حنقه عليهما علم بإنشائهم (حانة خاصة بهم بالقرب من منزله يمضيان فيها معظم أوقاتهم)

فقرر معاقبتهما فخططا لقتله ليلًا ودفناه بحديقة المنزل، ولم تطل عملية القتل زوجته، التي هربت مسرعة خارج المدينة فتركوها فمظهرها الخارجي يوحي بجنونها ولم يكترث لها أحد، وقررا أن يدار العالم من خلالهما ولكن بعد ساعات قليلة أدركوا أن الأمر جد معقد ويحتاجان للمساعدة، بحثا سويا في منزل د.(هيومان)، عن أية أوراق أو كتابات توضح كيف كان يدير الأمر ،ولكنهما لم يجدا شيئا، فقررا ونظرا لطبيعتهم السلطوية، الاستعانة بأناس آخرين مساعدين لهما، في تنفيذ ما يأمرون به، فأصبح هناك نائب لكل منهما ثم مساعد لكل للنائب ثم مديرا لمساعد للنائب ثم سكرتير مدير مساعد النائب ولكن لم تكن هناك خطة واضحة يسيران عليها، فأصبحت العشوائية سيدة الموقف.

كان الفريقان يسترسلان في اجتماعاتهم بمحادثات هزلية وأفكار خالية، من أية منطق ولا يمكن تطبيقها، وقبل انتهاء الاجتماع حينما يُطلب منهما بيان، يُخيم الصمت على الجميع فيؤجل الأمر لغدٍ، مضى العشرة أيام الأولى على هذه الحال، فكانا لا يواظبان سوى على متابعة ومراقبة مائدتين يملؤنهما بالكثير من اللحوم والفاكهة المتنوعة وكثيرا من النبيذ.

والفرق المساعدة لم يكن له أي دور سوى الاستيلاء على كل مقدرات تطالها أيديهم، واللهو بالأمر حسب أهوائهم.

كان الاضطراب والتوتر والحنق على أشده من جانب بقية البشر وكرهوا الجميع، وحينما شعرا (جان، وروبن)، بالأمر أنذرا الفرق المساعدة بالطرد.

وفى المساء تكالبت الفرق على (جاك وروبن) فقتلوهما واستولوا على خيراتهما وهربوا بعيدا

تُرك العالم وحيدًا دون أية توجيهات أو بيانات أو توضيحات، كثرت الإشاعات وضرب القلق البشر وأحاطهم الخوف، فقام كل مجموعة من البشر بإقامة حدود أو سدود مع الآخرين متخذين من منطقتهم كيانًا مستقلًا.

واستمر هذا العمل فنشأت المدن، وتكونت الحكومات، ومن ثم الدول، وتباينت خيرات الدول فطمعت دولة في أخرى فنشبت الحروب!

7
الغراب

(الغراب) دوما يصوب بصره نحوها أينما اتجهت وكان لا يُغادر سور شرفتها قط، لا تغيب عن بصره سوى دقائق معدودة أثناء مغادرتها للغرفة في مكان لا يستطيع أن يتتبعها فيه، فلم يكن يغيب عن نظرها أو الأدق قل لم تكن تغيب عن بصره طوال اليوم، سعدت به في البداية ولكن طال الأمر ومر أيام على هذا النحو وهو الأمر الذى أثار بداخلها الحيرة والتساؤل حول وجوده هكذا طوال الوقت خاصة وأنها بدأت تشعر تجاهه بأمر غريب لا تفسير له، أمر يربطها به يمنعها من نفره ونهره أو حتى إزعاجه، كانت ترى في عينيه البنيتين لمعة خاطفة تبعث فيها كثير من الدهشة والبهجة والألفة، بالطبع ليس غرابا كبقية الغربان التي رأتهم من قبل، فقد كان لا يصيح كأقرانه ويزعجها بل كان محافظًا على حالة الهدوء قد تتخيله لوحة فنية قد رُسمت لها خصيصا على شرفة منزلها بقدرة الطبيعة، وفى ذات يوم زارتها صديقتها المقربة وحينما رأته أخبرتها أن الغربان فأل سيء ولا يجدر بك السكوت على مكوثه هكذا طيلة الوقت فنهرته بقسوة حتى غادر الشرفة وغادرت بعد ما انتهت زيارتها الغير هادئة، ظلت تنتظر قدومه ويدها علي سور شرفتها وعينيها تحوم في السماء كي تراه ولكن دون جدوى، شعرت بالحزن والفقدان فما كان لها أن تصمت

أمام ما حدث لطائر لم يؤذها قط بل كانت رؤيتها له تثير بهجتها، شعورها بالحزن جعلها تسأل ويثير التساؤل ذهنها الذي قادها إلي فكرة العودة بالذاكرة قليلا والبحث بين متعلقاتها عن أمر يُهدئ من توترها، فتفقدت أدراج مكتبها، اللهفة في البحث والاشتياق للمعرفة قد أهداها لرسالة تائهة كانت من شخص كان يحبها في السابق ولم تكن تهتم برسائله لأنه لم يكن بالمستوى الكافي لحبها ولجمالها على حد قول صديقتها المقربة الشمطاء، فتحت الرسالة بعد أن نفضت ما عليها من بقايا أتربة وقرأت بعينيها: وبعد أن أموت لا طلب لي من الله سوى أن يبعثني ثانية على هيئة غراب، لأنك تُحبين الغربان"! كررت القراءة مرة أخرى بصوت خافت بعد أن تركت الورقة وتوجهت للشرفة باحثة عنه وسط السماء وهي تقول:

"وبعد أن أموت لا طلب لي من الله سوى أن يبعثني ثانية على هيئة غراب لأنك تُحبين الغربان"!

8
الزهرة البيضاء

أكتب لا لشيء محدد ولكن الكتابة أنس الوحيدين، ورفقة البائسين، الكثيرين منهم، والكتابة أيضا جزء كبير من حياتي أكاد أفعل شيئًا سوى أنني أكتب،، بمقدورك أن تقول إنها الأمر الوحيد الذي أحيا فيه وبه، أكتب لا شيء محدد ولا لأحد، أكتب عن صحوتي كيف تبدأ بتكرارها اللعين، كم وددت في كل صباح أن يكون الأخير، وأكتب عن نهاري كيف يبدو وأتخيل اختلافا في كل نهار كمرافقة طير حط على نافذتي المتهالكة أو تربية زرعة ومحاورتها بشأن الطبيعة، أو مراقبة عدد النجوم بقرب المساء، الذى أراه في تناقص أو ربما أتوهم نقصانه كي أشعر بالاختلاف أكتب عن نومي وصعوبة استحضار النعاس رغم صعودي على وسادتي الأرضية أشعر بعدد الساعات التي لا تقل عن أربعة أو خمس ساعات يوميا تمضي بصخب في رأسي وذلك قبل أن أنام دون أن أشعر، تلك اللحظة ما بين الوعي واللاوعي تمنيت كثيرا أن أمسك بتلابيبها، أردت لها أن تطول وتطول، ربما يسعدني الأمر، وكانت تلك هي نقطة حياتي فالحياة بالوعي ليست مرضية أو بغير الوعى، وهذا الأمر الذى لم أكتب عنه يوما ما ولكن حدسي يخبرني أني سأكتب عنه، أخبرني طبيب قد أسعفني من حالة إعياء شديدة بعدما رأى غرفتي، الغرفة لا تحوي سوى على

وسادة أنام عليها وبجواري أوراق كثيرة المدون فيها والبيضاء التي لا كتابة فيها، وأرجاء الغرفة مكدسة بالأوراق المتناثرة في الأركان دون ترتيب أو اهتمام،

-يتوجب عليك أن تكتب للصحف أو المجلات فربما يلمع شخصك أو تصير قاصًا أو حتى روائيًا أو كاتب قصص إذاعية ومسرحيات وأتمنى لك الأخيرة، فالكتاب الآن يحوذون المال والشهرة من كتابة الإذاعة، أما الأدب فقليل ما يسعد صاحبه في دنياه..

لا أنكر أن فكرة الطبيب قد راودتني كثيرا خاصة في ظل ظروف الفقر الذي يلازمني منذ ولادتي فقررت أن أبحث عن جريدة تهتم بما أكتب، ووجدت أن التاريخ الأدبي لا يخلو من ذكر الزهرة البيضاء، فما كان مني إلا أن أقصد جريدة الزهرة البيضاء فور اكتمال شفائي

ذهبت إلى جريدة الزهرة البيضاء وأحمل بين يدي أوراق لقصة كتبتها مؤخرًا، لو استطعنا تسميتها قصة حول "قط أسود وأكذوبة السبعة أرواح"، والتي تقول:

"دوما ما كنت أستيقظ على صرخات وعويل قادم من الشقة التي تجاور غرفتي أول الأمر ظننت الأطفال يلعبون ولكن مع تكرار الصرخات وتنبهي للصوت بعد تركيز واستطعت تمييزه لقط أو قطة تسنجد فتشجعت ودنوت من الشقة وطرقت الباب أستفسر عن الصراخ والعويل فخرجت لي امرأة

بدينة الجسد قصيرة الطول خُصرها المتدلي يُخبرك بكثرة شياطينها،حاجبيها النحيلين يدلان على نهمها للجنس رغم وفاة زوجها، مرتدية تنورة قصيرة وقميص شفاف، شعرها الكثيف يتراقص فوق رأسها، تلوك شيئا بفمها بقساوة ملحوظة، سواد شفتاها يدل على أنها امرأة مدخنة لما هو أبعد من السيجار المشروع.

-ماذا تُريد، قالت ذلك: وهى تتكئ على الباب وتضحك ضحكة بلهاء، فأخبرتها عن سبب الصراخ، ففتحت الباب على مصراعيه لأرى أطفالها يمسكون بأطراف قط أسود صغير، كثيف الشعر وكلما هم بالهرب أمسكوه وأعادوا الكرة معه دون رحمة وسط ضحكاتهم البلهاء الموروثة من البلهاء، وحينما نهرتهم وأخبرتها أن يكفوا عن أذية القط فأخبرتني بكل بلادة.

- لاتقلق فاللقطط سبعة أرواح.

أغلقت في وجهي الباب فقررت العودة لحجرتي وأنا أفكر فيما قد أصنعه لهذا القط المسكين من سخرة هؤلاء الملاعين.

أما ما يشاع وسط العامة من أمور حول القطط بدون دراية حقيقية فالجملة التي يتم تداولها استخفافا هي رمزية لكون القط مرن الجسد فيتحمل الصدمات أو السقوط التي قد تودي بحياة الإنسان وأيضا لحالة التوازن العالية بسبب أذنه الوسطى ودرجة حساسيتها، وهو الأمر الذي دفعني للتفكير في البحث عن مهرب لهذا القط بما يشاع عنه.

فقررت خفية أن أكسر زجاج الشقة المجاورة وتحطيم كل النوافذ المغلقة وهو الأمر الذي يساعد القط على الهرب والقفز من النافذة وإن كانت بعيدة على الأرض فلن تنتهي حياتها، وبذلك أكون قد ساعدت قطًا على الهرب بنفس السبب الذي به هؤلاء الحمقي يعذبونه "!

الواجهة الزجاجية يزينها بالخط العريض جريدة الزهرة البيضاء، مر جسدي من بين بوابتها المعدنية وعيناي تراقبان حركة الكاميرات المعلقة على أعلى الجانبين وعلى يسار الممر وجدت نصف تمثال لشخص ما، لم أهتم بمعرفته رغم وجود لوحة تعريفية ضخمة أسفل الوجه، فعادة لا أحب النرجسية في البشر ومن دلالتها صُنع تمثال لأحدهم، جلست على مقربة من شاشة تُرشدك وتدعوك للجلوس انتظارا لمقابلة السكرتارية، جلست ووضعت ورقاتي (القصة) بجانبي وأمامي كتيب مصور بدا من عنوانه عدد سابق للجريدة تصفحته مرة ثم مرة أخرى، لم أر فيه شيئا أدبيا على الإطلاق مجرد صور لفتيات عارية إلا من قليل وبجانبها حوار أشبه بالنكت المثيرة للسخرية، لفت نظري على غلاف المجلة نفس صورة التمثال القابع على يسار مدخل الجريدة عرفت أنه مؤسسها وأول من صاغ القصص الأدبية داخل دولتنا، ولكن ذلك كان منذ مائة عام وقد حاز من الجوائز الأدبية التي تجعله مصنفا عالميا في مجال الأدب، شعرت للحظات بحقهم في وضع تمثال له فنهضت متجها نحوه، لكن دعتني فتاة لمقابلة المدير، قبضت على ورقاتي

ودخلت مكتبه، فخم الأثاث واسع المساحة به مقاعد وثيرة وطويلة وطاولة في المنتصف تضم عددا من المقاعد حولها، دعاني للجلوس على كرسي أمام مكتبه، وجدته رجل قصير القامة على كُرسيه العالي على غير المعتاد وبدانته تعيقه عن الحركة بسهولة، يرتدي قميصا أبيض زر واحد فيه هو المغلق، أسفل القميص ويُحيط عنقه قلادة ذهبية طويلة ويقبض بين أنامله على سيجارة كوبي الصنع غير مشتغلة، فهى رسول ما بين فمه ويده فقط، رحب بي مبدئيا وطلب لنا عصير وأخذ يتطلع في ورقاتي بغير فهم واضح أول ما سألني عنه الصور!

- أين الصور فأنا لا أرى صورة واحدة في القصة.

فأخبرته أنها خاطرة أقرب إلى القصة وبها معلومة وحس أدبي مقبول، كنموذج كتابي نستطيع من خلاله أن نُبرم اتفاق على الكتابات القادمة.

ضحك عاليا وسلط وجهه عاليا نحو السقف وقال: يا عزيزي: الجمهور الآن لا يحتاج لا إلي الأدب أو المعلومة، فالجمهور الآن يحتاج إلى ما يثير حسه الجسدى، فأنا لا يهمني سوى خيال الكاتب أما ما تقدمه من أدب، ثقافة، فكر، فلا حاجة لنا فيه، أولا ترى يا عزيزي العدد السابق للجريدة!؟

سألني هذا السؤال وهو يلتفت نحو درج مكتبة ساحبًا إحصائية صحفية يقرأ من خلاله أن العدد السابق للجريدة قد حقق أعلى مبيعات صحفية على مستوى القارة.

وأشار بيده نحو العدد كي أتصفحه، نظرت نحو الغلاف فوجدت صورة لفتاة بفستان أحمر مفتوح من جانبه حتى خصرها وفهمت ما يقصده ولم تكتمل نظراتي لباقي المجلة، أخبرته وأنا أبتسم تجاهه ابتسامة يفهمها:

-كان يمكن أن تحقق أكبر مبيعات على مستوى العالم لو كانت الصور عارية.

ضحك ضحكته الشريرة المرتبطة بنظره نحو سقف المكتب وقال:أود ذلك ولكن الرقابة،،الرقابة يا عزيزي.

ولكن ما أوده منك أن تصيغ القصص مصورة وأنا أثق بخيالك الواسع وستبدع في ذلك بلا شك،

مثلًا أن تجعل هذا القط الأسود يعود للحياة مرة أخرى أو سبع مرات أو حتى عشر مرات لا يهم ولكن لتجعل من عودته للحياة إثارة والإثارة هنا قد تكون العبث في تلك المرأة البيضاء وخاصة بعد وصفك لها أنها نهمة للجنس، كم أود ذلك...

دخلت الفتاة المكتب ودنت منه ومالت هامسة له بكلمات وأكاد أجزم أنه لم يكن يسمع ما تقول فيده على خاصرتها وعيناه تتفحصان باقي جسدها دونما أي اعتراض منها،ولماذا تعترض؟!

فتنورتها الجلدية القصيرة السوداء، ملابس تعبر عن وظيفتها، أراهن أنها لا ترتدي ملابس داخلية وقميصها الخفيف الأبيض المفتوح ناحية منطقة

الصدر، وألوان بمحيط عينيها وشعرها المستعار الأصفر ويدها الرطبة الخالية من أي حلي وكعبها العالي مربوط بإحكام، ونبرة الدلال في الحوار، وفمها يلوك شيئا دائما مصدرة صوت به كلها أمور تُخبرنا عما يحدث هنا أغلب الأوقات.

تركتها وخرجت ولم يشعرا باختفائي، نظرت نحو نصف التمثال القابع في ممر الجريدة وابتسمت بسخرية وأنا أقول:

إنه ينبغي عليهم أن يبدلوا اسم الجريدة ليكون: "الراقصة البيضاء"، "الزهرة الفيحاء" أو حتى "الهيفاء"، وهي أسماء أيضا يحتاج لها العامة الآن.

تمر علينا لحظات يومية نكتشف فيها مدى هشاشتنا من الداخل وضعفنا من الخارج ونتحسس قسوة الأيام بالمواقف والصدامات، الأمر لا يحتاج حادثا فجا أو حتى فراق صعب الاحتمال، أو فقرا قابضا بقوته على حياتك أو بشرا أهملوا إنسانيتهم، الأمر أبسط من كل ذلك فيكفي أن تخرج من غرفتك لتجد أطفالًا ونساءً وعجائز وفتيات، كلما مررت بأحد منهم كشف لنا أننا لسنا على ما يُرام! لحظات كتلك نفتقد فيها كثيرا من الحس والحماس والدفء والفهم والروح والرحمة والحب، ولكن الجميع فقدوا المعنى ففقدت الحياة كل معنى ولا يسعنا سوي البكاء، البكاء طويلا أو قصيرا المهم أن نبكي، فالبكاء والنوم ضروريان للفرد منا، كلاهما يُقربانك من النهاية، وإن رآنا أحدهم لا نخجل كلما نوده، وقتها يُصدق بكاءنا، يفهمنا ووقتها قد يفهم ما نكتب،،،

سأكتب لا لشيء سأكتب على ورق متين وقوي وأستمر في الكتابة، وكل ما أكتبه سأضعه داخل الجدران بعيدًا عن عيون أهل هذا الزمن، سأكتب لزمان آخر يأتي فيه البشر مفتقدين الأدب وما يقدمه من آداب وقيم، أتوقع بعد مائة عام من الآن سيتم هدم هذه البناية من قِبل مقاول جاهل، يملك الحياة بأمواله، وسيمر شخص أحمق من الذين يتسولون الناس، وينبشون القبور والبنايات المهدودمة، ويحصل عليهم ويُسارع إلى أقرب مكتبة، عارضا إياهم للبيع، ويتفحصهم صاحب المكتبة متمنيا وقتها أن يسعى إلى نسخها على طبعات متفرقة ونشرها للعامة.

9
أحفاد الشياطين

من سوء حظي أن شرفة مكتبي تطل على الطريق وليست ببعيدة عن الأرض وكم أكره الطريق كلما ضم الكثير من البشر وزاد كرهي كلما كثُرت الأطفال عليه، الطريق المتهالك يُشبه أرواحنا وآمالنا المفتتة المتهالكة، المتخادلة بفعل الزمن وبعض من سوء الحظ ورفقاء الخذلان، تجاوروني في البناية أناس لا يتقنون شيئا في دُنياهم سوى الثرثرة، ثرثرة بلا حياء، أستطيع أن أسمع تحاورهم حول علاقاتهم الجنسية بكل وضوح وقهقهاتهم تصدع في الجدران محدثة أداء كريه كوجوههم ووجودهم، ما يزيد الأمر سوءًا وبئسًا هؤلاء الأوغاد الصِغار(أدعوهم دومًا حفدة الشياطين)، لا أعرف أي وغد قد ذكر أن الأطفال أحباب الله، يفعلون ما يحلو لهم من أمور لا أخلاقية بمبرر أنهم أطفال، أتذكر ذات مرة أن ثلاثة أطفال كسروا ضلع لصغير يُشاركهم اللعب وفى حين تألمهم يقفون يسخرون منه ويضحكون كالبلهاء الأوغاد، وأيضا عجوز قد مات وهو يحاول أن يرفع من شرفته وعاء مُحمل بالأغراض فتشبثوا بالوعاء بقوتهم حتى أسقطوه أرضًا وأنهوا حياته وفروا هاربين وعلى وجوههم ضحكات الأوغاد، أنا لا أُنكر أنني أكره الأطفال(أحفاد الشياطين).

أكره أصواتهم، بكائهم ضحكاتهم، ألعابهم، وتقليدهم للحيوانات أمر يليق بهم كثيرا ويضعهم في كينونتهم الحقيقية،كلها أمور تبرر لي لو بادرت بتقديم لهم السُم في الحلوى التي يتقاتلون عليها، أنظر إليهم بقليل من العطف وأحاول تذكر هل كنت مثلهم وغدا يتبع خطوات الأبالسه، لم أجد ذكرى واحدة لا لي ولا لأحد من المقربين، لم نكن ملائكة ولكن لم نكن أيضا شياطين، أعتقد أنني لم أكن طفلا فأتصور أني ولدت رجلًا كاملًا يميل للصمت والرزانة أتصور أن عمري الداخلي فور ولادي كنت في الخامسة والعشرين، ربما، فالآن وأنا في عمر الخامسة والثلاثين ملامحي تحمل رجل بعمر الثمانين.

10
عاهرة الأطباء

أشعر بالبرد.

قالت ذلك وهى ترتجف خوفا وألما وتقبض على يدي بكلتا يديها وعينيها تنهمر بالدموع.

-لا تتركني.

كانت تلك آخر كلماتها لي قبل أن تغيب عن الوعي أثر التخدير الكلي في غرفة العمليات ويحوطها فريق من الأطباء المهرة التي لا تعرفهم ولكنهم يعرفونها جيدا، وقد ترجلت خارج غرفة العمليات منتظرا، رغم كوني طبيبا بذات المشفى إلا أن وجودي في الغرفة لا فائدة منه حيث إن زملائي سيعتنون بها بشكل يُطمئننى عليها وعلى نجاح العملية، وأيضًا فنحن الأطباء لا نملك مهارة ممارسة الطب على شخص تربطنا به علاقة خاصة، فيصيبنا القلق ويكون ذات سلطة كبيرة على كل جوارحنا تفقدنا التركيز.

هي ليست زوجتي أو خطيبتي أو بيننا قرابة أخوة أو حتى قرابة من جهة العمومة ولم أحظ بمكانة خاصة في قلبها.

فقد بدأ الأمر منذ ثلاثة أعوام بعد تخرجي من كلية الطب باحثًا عن غرفة أستطيع من خلالها ممارسة مهنة الطب وتبدأ حياتي المهنية، والجدير بالذكر أن الطب في بلادنا يمر بمرحلتين مخاض، الأولى وقت الدراسة وحصولك على

البكالوريوس، والمخاض الثاني في البحث عن غرفة مناسبة ماديًا ومناخيًا لممارسة الطب، أخبرني ذات مرة صديق يسبقني في التخرج، عن بناية تخصص غرفها للاستثمار وإيجارها للأطباء، وهي مشهورة بين الأطباء حديثي التخرج وأيضا القدماء من نال حظ الإيجار فيها نظرا للمقابل المادي الزهيد في الأجرة وتستطيع من خلالها تدبر أمرك مبدئيا وأمور ستعرفها حينها.

فرحت لذلك ولكن سريعا ما هجرتني الفرحة بعدما أخبرني ببعض الأمور التي ينبغي معرفتها قبلا، ووصفها بالأمور الغامضة إلا للقليلين جدا.

أولهم أن ملكية هذه البناية تعود لسيدة نالت لقب أرملة مؤخرا.

وثانيهم أن فترة الإيجار الأولى مدة ثلاثة أشهر فقط ولم يُصادف حتى اللحظة وجود الهُمام الذى يستطيع تمديد إيجاره لمدة أطول.

ثالثهم على الطبيب ألا يوظف أنثى في عيادته فإن كان ضروريا فليكن رجلا مساعدا له.

ورابعم أن حارس العقار صعيدي الفكر والجوهر.

سمعت منه تلك الكلمات ولكن لا أملك أي خيار آخر في ظل ظروف، ضائقة الحال التي أمر بها، ليس هناك أقسى على الإنسان من ضائقة اليد واتساع أحلامه.

المبنى الذى تملكه السيدة مكون من خمسة طوابق بعشر غرف أشبه بمركز طبى متنوع التخصصات هو أمر زاد من رغبتي في خوض التجربة وربما يُصادف وأن أكون ذلك الهُمام الذي ينتظره الجميع وأستطيع أن أجبر السيدة على تمديد فترة الإيجار، واعتبرت الأمر تحديا بالنسبة لي إذا نجحت فيه كان سببا فيه شهرتي وتميزي وسط أقرانى في فترة قصيرة وإن فشلت فيه فلا ضرر في ذلك كون الجميع أصابه ذات الفشل.

تشجعت واقتربت من البناية فوجدت رجلا مرتديا جلبابه الصعيدي جالسا على الأرض أمام البوابة الحديدية وما إن وصلت للبوابة

وقف يسألني عن حاجتي فأخبرته فطلب مني الدخول وأن أنتظر في غرفة مُخصصة لمالكة البناية لحين إيقاظها واختفى من أمامي تاركا إياي وحدي في الغرفة، قلت في نفسي ليس هناك أمر مزعج في الأمور التي أخبرني بها صديقي سوى أن الحارس هنا صعيدي، ونحن نعلم كم الطيبة والشجاعة التي يتمتعون بها ولكن أن تمتلك شجاعة هذا جيد، ولكن أن توظفها بشكل سليم ذلك ما ينقصهم.

وقفت في الغرفة وصوبت نظري في أركانها الصغيرة وجدتها خالية من أي أثاث سوى مكتب صغير وأمامه كرسي بسيط ولاحظت أن جدرانها خالية من أية إطارات أو صور وكشاف صغير بسقف الغرفة لا يوجد سواه في الإضاءة، كلها أمور لا دلالة لها سوى أن المقابلات هنا لا تتعدى سوى دقائق

قليلة وهذا أمر أثار فيَّ القلق قليلا، مر قُرابة الساعة وأنا منتظر قدومها أو صحوها كما أخبرني حارس العقار، وحينما بادرت باستعجالها قال وهو لا يلتفت إليَّ.

-حفل ميلادها بالأمس انتهت بعد الفجر.

تذكرت أمرًا آخرًا أشبه بتحذير قد أخبرني به صديقي، أن أبتعد عن حفلات ميلادها والتي تقيمها كل ثلاثة أشهر، شعرت بالارتياح قليلا لو أن مدة الإيجار هنا ثلاثة أشهر، وأنها تحتفل بميلادها كل ثلاثة أشهر، إذًا بالأمس كان فراغ غرفة من الغرف وقد يكون قدومي مناسبا في ذلك التوقيت ..

-الدكتورة يا دكتور: صاح بذلك حارس العقار تنبيها بقدومها، وقفت فور دخولها لم تمد يدها للتحية وبالتالي لم تصدر مني حركة سوى ابتسامة بسيطة.

جلست أمامي سيدة في عمر الثلاثين بشرتها البيضاء وملامحها الصغيرة ووجهها الدائري يُخبراننى عن شخصية طيبة وسمحة وصاحبة حماس وطموح وبعض من البلاهة التي تتميز بها المرأة، بدت بدينة الجسد قليلًا بما لا يفسد قوامها، تتلحف بكثير من الثياب وقطعة صغيرة من القماش على الرأس تكشف عن شعرها الأصفر الحر المتطايرة خصلاته، بشرتها دهنية وسريعة التعرق، خافتة الصوت ولكن جريئة النظر، قليلة الحُلي ولكنها أنيقة الهندام، طلاء أظافرها أحمر خفيف ذات لون طلاء الشفاة، رائحة عطرها المميز ليس

مصادفة فهى سيدة تُدرك جيدا أن الرائحة أقوى مؤثر على الدماغ البشري، باختصار هي سيدة مهيبة المنظر وتُسر الناظرين رغم الغموض الذى يكتنف حياتها، انتهت المقابلة سريعا كما توقعت لم تضف لي شيئًا سوى بعض الأمور التي أخبرني بها صديقي واتفقنا على استلام غرفتي من الغد إن كنت جاهزا، مما أخبرتني به قبل مغادرتي اسمها.

-(حنين) هذا هو اسمي.

سألتها عن اسمها الحقيقى والرسمي ،فابتسمت.

فقلت لها منذ ثلاثين عامًا لم يكن اسم حنين قد ظهر في مجتمعاتنا.

ابتسمت فكشفت عن أسنانها البيضاء ورفعت أحد حاجبيها المرسومان بعناية.

-اسمى هويدا ولكن حنين هو الاسم الذى أحب الجميع مناداتى به.

مضى الأسبوع الأول ولم يزرنى أحد في العيادة وهو أمر مفهوم لدينا فالتخصص في الطب النفسي يفهم منه مسبقا أن ممارسته الفعلية تبدأ بعد الشهور الأولى، فمضت الأيام برفقة فرويد وبعض من كتابات نيتشه.

صباح الجمعة الأولى بدأ هادئا، خفيفا، سماؤه صافية من أي سُحب، العيادات جميعها مغلقة أجازتهم الأسبوعية ،لم أكن منتظرا أحد فالستة أيام السابقة كانت خالية من أي زيارات طبية أو غيرها، وهو أمر لا يفاجئني، فالطب النفسي زياراته قليلة ونادرة في بدايات المهنة، مرت الساعات الأولى

سريعا وبهدوء جم، وبعد الظهيرة سمعت صوتًا عاليًا لم تكن كلماته واضحة، لأنها كانت سريعة وعالية وأن شخص ما تتسارع قدماه على درج السلم، خرجت أنظر لما يحدث فوجدته أمامي مباشرة رمقني بعينيه للحظات ولما وجدته مرهقا وتتسارع أنفاسه طلبت منه الدخول قليلا، تردد لثواني ودخل معى لشعوره بالتعب، قدمت له كوب من الماء فجلس يشربه على مرات وبطريقة تنم أنه شخص صحي وحدسي أخبرني أنه طبيب، شخص في عمر الخمسين، قوامه جيد رغم نحافة جسده، طويل القامة ملامحه واضحة وشعره يكسوه البياض الذي يمنحه هيبة وهيئته توحي أنه شخص له حيثية مجتمعية.

هدأ قليلًا ونظر إلي شاكرا، وتحرجت أن أسأله عما حدث، حتى بادرني هو بتعريف نفسه:

-دكتور/ نبيل عبدالله، طبيب تخصصي جراحة وتجميل، وأستاذ متفرغ في طب طنطا.

لاحظ في عيني كثيرًا من التساؤلات والتي تحرجت أن أسأله (كسبب غضبه، ولماذا ترك وظيفته)!

فأخبرني أن أبتعد عن تلك السيدة قدر المستطاع فهي امرأة له شبق جنسي تجاه البالطو الأبيض ووجه نظره نحو الغرفة فلم يجد بالطو أبيض وأدرك أن العيادة للطب النفسي من أثاثها البسيط والشيزلونج فأدرك أنني لا حاجة عندي للبالطو.

وقال بثقة لو كانت تعرف مسبقا إنك تخصص طب نفسي ولا تملك البالطو الأبيض ما كانت وافقت على منحك العيادة وأتوقع أنك لن تستمر سوى أسابيع في هذه المكان، وسرد لى بعض الأحداث الغريبة التي وقعت هنا قصص كثيرة لكنها متماثلة ومكررة بطلها هو الجنس ومخرجها هي السيدة (حنين)، أخبرني عن تفاصيل حياته كونه طبيبًا بارعًا في جراحة التجميل وأن هذا الجسد المثير المهيب والملامح البراقة لها من صنع يديه، واستولى الحزن على نبرته حينما تذكر زوجته الذي فقدها وعمله الأكاديمي الذى خسره، كان مضطربا، تعسا، حزينا.

أود أن أشير أن استماعي له لم يكن إشفاقا فقط ولكن وجدته حالة نفسية تُعيد نشاطي الذهني المهني حول تخصصي فوجدتني أمسك بالقلم ومدونتي وأسجل ملحوظاته الشخصية، الناظر إلي وقتها يجدني شغوفا أشد الشغف بمهنتي حتى يُخيل إليك إني وُلدت مستمعا، نصوحا أجيد مهارة ترتيب شؤون الآخرين.

وأخيرا أخبرته بأن يبتعد عن أجواء المدينة وأن يذهب لمدينة ريفية أو ساحلية مع نصحه ببعض المهدئات كي يستعيد عافيته وذهنه الغائب.

غادر ولم يكترث لنُصحي وكلماته التحذيرية لم تنته بل زادت بتوعده بالانتقام منها.

وتقهقر من أمامي كما تقهقر في ذاته .

ثلاثة أمور يفقدونك الهوية:(المال، الغربة، الجنس).

لحظات وقد فاجئتني (حنين)بوجودها في منتصف غرفتي تسألني عدة أسئلة ولا تنتظر إجابة، أدركت أن بداخله سؤال يُشغلها سيكون الأخير، وكان عن الدكتور نبيل وما حدث بيننا من حديث، كانت مهيبة المنظر ومثيرة الملامح وجريئة النظرات، سكون أطرافها يوحي للناظر إليها كأنها بداخل إطار رسم صنع خصيصا لها كتعبير عن الأنثى كما يجب أن تكون ..

انتهبت لحديثها وقت أن سألتني عن البالطو الأبيض ونظراتها تجول في الغرفة بحثا عنه، لم أتردد في الكذب وكذبت بثقة:

-إنه في الدرج لحين حاجته.

لمعت عيناها لثواني، وهمت بالمغادرة وقالت:

-لا يعنيني ما أخبرك به الدكتور نبيل أو ما سمعته مسبقا عني من بعض الحمقى من الرجال .

لتفت للخلف وتابعت ما تقول.

-كوني أرملة وجميلة وصاحبة عمل مربح يجعلني حكاية يلوكها الجميع.

حل الصمت وانعقد لسانى وفقدت مهارتي في مجاراة الآخر.

انصرفت ولم ينصرف خيالها وبقى لدقائق بقايا عبير عطرها النافث

يبدو أن التحذيرات التي تلقيتها لم تصمد أمام امرأة مثلها، قلت ذلك وأنا أضع جسدى على الشيزلونج وأغلقت عيناي وفكرت ماذا لو كان ما أنا

فيه بداية لكوني الضحية الجديدة لها، نزعت عني هذا الإحساس سريعًا وتذكرت الدكتور نبيل وما وصل إليه من حال، وتقدمت نحو رفيقي فرويد فهو مرشدي في حالات التيه والحيرة.!

لا أظنها تمارس العهر للأسباب المعروفة أو المنتشرة فالمال بوفرة لديها، فأسباب العهر كثيرة، منها المرض وراثيًا كان أو مكتسبًا، وأغلب ظني أن يكون الأمر نفسيا.

ولماذا يكون نفسيًا؟ هل أجد لنفسي مبررا للتفكير بها؟!

هل بدأت أميل لها؟!

مضى أسبوع آخر ولم يزرنى أحد.

فأصبحت هي الحالة التي أتابعها عن طريق الخيال، نعم الخيال استطاع إحضارها فأسألها وتجيبني ،وتسرد وأستمع إليها وأستمتع بها.

ما أعظم الخيال لدى الإنسان وقوته، ظل الأمر هكذا مدة الشهر الأول، ولم يُصادف أن جالستها فيه، ولكن بفضل الخيال حاورتها عشرات المرات.

الجمعة الأولى من الشهر الثاني بدأ بيقين داخلي بقدومها، مضى النصف الأول من النهار ويقيني لم ينقطع، فأنا الضخية القادمة لها، شاب وحيد تلمح في عينيه نظرات ملتهبة، صمته يغريها، ذكاء المقابلة الأولى، ما زال يُثيرها فالذكاء يثير النساء، وأيضا كطبيب نفسي لم تُصادف هي على مدار الثلاث سنوات هذا التخصص.

مستعد، متسلح لها بأدواتى الفرويدية والمهنية، وكبحت رغبتي ووجهت ذهني لكونها حالة نفسية علينا اكتشافها.

جاءت وسبقها عبيرها كوصيف يُعلن قدومها، لا صوت في حركة قدميها تتهادى ويكسوها كثير من الزهو الذي تستحقه.

رحبت بها وحركت بيدى المقعد لتجلس عليه، فرفضت وهى تنظر نحو الشيزلونج بارتياح مقترحة أن يكون مقعدها الخاص، فرجوتها أن يكون كذلك دائما وأنا أبتسم قليلًا

سألتني: كم مريضا قد زارك منذ أن فتحت العيادة!؟

أخبرتها شخصا واحد (وأنا أقصد بذلك هي، ذلك الشخص أستحضرها بخيالى)!

أرخت جسدها بهدوء، احتواها الشيزلونج كما لو كان مصنوعا خصيصا لها وأغلقت عينيها وطلبت أن تكون هي المريض رقم (2)

أغلقت ضوء العيادة وأنرت أباجورة بجوار الشيزلونج

سألتها عن والدتها، ترددت قليلا ثم أخبرتني أن والديها متوفيين وأن أعتبرها وحيدة

سجلت ذلك في مدونتي دائرة بها كلمة الأم، سألتها عن زوجها لم تجبني، سألتها عن التعليم لم تجبني، سألتها عن الدكتور نبيل.

انتفضت واقفة، وابتسمت بهدوء واستياء وانصرفت.

دونت في دائرة أخرى (زوجها، نبيل)!

مضى من الشهر الثاني أسبوعان لم أرها أيقنت أن طردي من المكان أمر لا ريب فيه

لعلك عزيزي القارئ تشاركني الحدس في أن عهرها لم يكن لأسباب مادية وإنما لسبب نفسي يمكث في أعماقها يأبي الخروج.

يجب أن أعترف آسفا أن سؤالى عن د. نبيل صنع بيننا خلافا وأضاع فرصتي معها.

كان يجب أن أدرك حقيقته بعدما أخبرني (حارس العقار) أنه كان دائم الإلحاح إليها دون رغبة منها وكان لقاؤهما الأول في حفل ميلاد لم يكن مدعوا فيه، ولم تكن مهنته هي هدفه إنما هي، فقط هي ولا شيء آخر.

الجمعة الأخيرة من الشهر الثاني جائتني على استحياء، دخلت على الفور في مقعدها المُحبب ودوري أن أغلق الأضواء وأكون مستمعا جيدا.

كنت أستمتع بالإصغاء إليها وهى أحبت البوح في الظلام،كانت أثناء الجلسات شخصا آخر (مسالما، هادئا، صريحا، ومنكسرا، بائسا في نبراتها)،ذكرياتها تغلبها ولا تستطيع تجاوزها ومنها ذكراها الأهم وهى في سن الخامسة من عمرها مع الأم.

والدتها التي اتجهت للتمريض بعد أن استقلت بعيدا عن زوجها الذى دأب على ضربها وإهانتها لـأنه عاطل عن العمل، متردد على السجن دائما،

ذكريات الأب قاسية وكلها وحشة، ترتعش حينما تذكرها وتدفيء عاطفتها ذكراها مع الأم في عملها، الأم المرأة الجميلة والتي لم تر نعيما قط فالزواج في مجتمعنا بالنسبة للمرأة حظ إما أن تسعد أو تشقى والأكثرية من نساء مجتمعنا يرافقهن الشقاء، الأم كانت دائما في المستشفى كان الأطباء يُحبون أن يتقربوا منها، ضعُفت الأم أمام أول طبيب باحت له مآسيها ووارتمت في أحضانه، وقت أن فتح لها ذراعيه، تتذكر هذا الأمر جيدا.

-كنت صغيرة وقتها لم يُشغلني سوى الحلوى التي أعطاني إياها وقبلني على جبهتي وربت بيده على شعري كنت أود لو كان أبي فالأبوة لها أيضا حنان يغمر الطفلة ويُشعرها بالأمان، الأمان الذى نسعي إليه جميعا شعرت به وقتها، اقتربت منه أمي رأيتها تُريح رأسها على كتفه وهو يضمها عليه انسدل شعرها فتهدل بخصلاته الذهبية فوق كتفيها الناعمين، الناصعي البياض، يحوط عنقها صليب له وقع خاص مع دقات قلبها المتسارع، شعرت بأنفاسها الرضا عليها،كانت المرة الأولى التي ترن في أذُني ضحكة والدتى..

(كانت تسرد لي ذلك وهى تبتسم والدموع لا تتوقف)!

ملحوظة

اختفى هذا الطبيب من حياة والدتى، لسبب لم أعرفه لكن بالتأكيد هي عرفته، فالأم لم تتحرج من صنع علاقة أخرى من طبيب آخر وآخر وآخر، فالحياة بالنسبة للمرأة يُمكن اختزالها في كلمة دافئة وحضن كبير وشعور

بالأمان، وأصبح الحدث بالنسبة لي كصغيرة ليس كما يدركه الآخرين أمرا مُحرما ويخرج عن التقاليد والأخلاق الاجتماعية.

كبرت قبل الفتيات ولم يكن لي رفقاء، تزوجت عجوزا وأنا الرابعة عشر وتوفي، وتوفيت أمي وأنا في السادسة عشر.

وتزوجت آخر في سن التاسعة عشر وتوفي، وآخر وأنا الخامسة والعشرين وتوفي، ثلاث زيجات ولم أشعر بقلب يسع الوردة والشوك، ثلاث زيجات ولم أشعر بما كانت تشعر به الأم، الطبيب بالنسبة لي كان رمزا لذكريات جميلة، الطبيب بالنسبة لي كان أبا بالحنان والدلال والذكرى

وهو الإطار الذى أجد فيه الأم والذكرى والحنان والمتعة.

(تهالكت بشكل ملحوظ) وهى تخبرني عن سعادتها بسماعها بوفاة الأب، أشعر بأن داخلي ينبذني كما الخارج، صمتت قليلا هدأت أنفاسها ووقفت ودون أن تنبس بكلمة خرجت ولم أزعجها، وعكفت بتدوين بعض الكلمات، وفى اليوم التالى بدأت جلستنا بعيدا عن الأيروتكية في الحوار وحدثتني عن سرها الكبير.

بدأت بالحديث عن الحلم الذى لا يكف عن زيارتها كل ليلة ،الأمومة أحبت دور الأم ورغبت في ممارسته والتميز فيه ولكن للقدر دومًا انحرافاته فاكتشفت مع الزوج الثاني أنها لا تصلح للإنجاب، توجهت لعدد كبير من الأطباء على مدار العشر سنوات الأخيرة ومنهم خارج مصر ولكن دون

جدوى أو حتى أمل قالت بسخرية: الفائدة الوحيدة هي زيادة معرفتي بأطباء جدد أعادوا لي الذكرى واليأس دفعني للعيش بماضي الآلام.

ضحكاتها مخنوقة وهى تحدثني عن المجتمع.

-لماذا يجب دوما أن أخضع لإرادة الآخر، لقواعده، لأهدافه هو، وإن كنت غير مقتنعة ومرضية؟!،لماذا يجب علينا أن نتقبل كل أخطاء الآخرين، وتُنصب لنا المشانق!؟ لماذا نصمت تجاه رغباتنا وسعادتنا ونرضى بغير الرضا؟!

الجنس في مجتمعاتنا هو سر الحياة وليس بقضية، فحمقى الرجال من جعلوا من الجنس قضية ليس لكونها قضية إنما احتكار لما يملك من النساء ولو أُتيحت لهم الفرصة لعمل علاقة مع غير زوجته ما تردد وكرر، والنساء متشابهات متماثلات راغبات وبشدة ولكن الفارق في الشجاعة والحرية والثقة والفهم ..

بدأ الأسبوع الأخير من الشهر الثالث وقد أرسلت لي ورقة تطلب مني مغادرة المكان خلال أيام، طلبت منها جلسة أخيرة فرفضت ولكن إصرارى كان واضحا انتظرتها طيلة النهار، وجاءتنى شاحبة الوجه مرهقة الجسد، طلبت منها الهدوء والجلوس لدقائق ترددت ثم جلست على المقعد لا الشيزلونج فلم أعلق على الأمر، وأخبرتها بأن مشكلة عدم الإنجاب لي رأي فيها، الأول نفسي، والآخر عضوى، أما عن النفسي فأنا كفيل به، أما العضوي

لدي صديق متخصص في أمراض النساء والتوليد كان يدرس في ألمانيا وأخبرته عن حالتك الصحية، أخبرني أن العلاج متوافر بعملية لا تستغرق ساعة، وحدد لك موعد العملية الأسبوع القادم، لمعت عيناها ودموعها هذه المرة من الفرح لا الحزن أو اليأس ...

الآن قد خرج صديقي الطبيب من غرفة العمليات وأخبرني أن العملية قد تمت بنجاح وهى الآن بالتخدير.

استخدمت مدونتي هذه المرة وأنا اكتب لها.

-قد تركت العيادة وأتمنى لك حياة سعيدة بحلم الأمومة بعيدا عن البالطو الأبيض

أقول كما قال درويش (نحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا)!....

11
صاحب المعطف الأصفر

وجودنا على هذه البقعة النتنة من الكون المُسماة بالأرض، عقاب لإثم لا يد لنا فيه، أُقسم لك يا عزيزتي بالله إن كنت أنا أول الخلق ما عانت البشرية وما انقرض حيوان وما تألم زرع!

قال ذلك وهو مُطأطئ الرأس مُصوب نظره تجاه كأس النبيذ القابض عليه بكلتا يديه، جالسا على مقعده بمحاذاة البار داخل حانة (المدينة) والتي قرر أن يمضي لياليه داخلها لأجل غير مسمى، الحانة الوحيدة بالمدينة تقع في مدخلها وبعيدة إلى حد ما عن البيوت بعدة أمتار، سقفها العالي تتدلى منه مصابيح بالكاد تُضيء المكان فما حاجة الحانات إلى ضوء!،

وجدرانها المتسخة بالسواد تُخبرك بعدد السنوات التي مضت على وجودها، تضم بين جدرانها عدد قليل من الطاولات الصغيرة المستديرة يحوط كل طاولة ثلاثة مقاعد ودومًا ما تجد على أحد تلك المقاعد فتاة تعمل بالحانة تكون مهمتها تبديل طاقات الرجال السلبية بطاقة أخرى متجددة بمقابل مادي.

تقول (هيلين) منا كفتيات الحانة لا أحد يعرف اسمه أو بماذا ندعوه ولا حاجة لنا في دعوته فهو لا يكترث لأحد ولا يتفوه بكلمة لأي شخص.

يمضي أكثر من ثلثي الليل صامتا، ساكنًا كمقعده ولا يتفوه سوى بكلمة واحدة للنادل (كأس آخر يا رفيق)!

تخبرنا أيضا هيلين أن الليلة الأولى التي زارنا فيها أثار فينا الدهشة والاستغراب فكان شخصا مهيبا، نبيلا، ليس كباقي الحمقى من الرجال الذين يتناوبون علينا هربا من زوجاتهم وأسرهم.

كان كلما دخل الحانة تجدُنا مضطربين،مشدودين، له ومضطرين للاتجاه نحوه ليس فقط للحصول على بعض من النقود ولكن كانت الفتيات تُحيطه لكشف ما فيه من أسرار فقد بدت عليه.

أتذكر ذات ليلة قبل مجيئه اتفقت الفتيات على رهان لمن تستطيع منهن أن تُغريه وتدفعه للحديث معها ولو بكلمة وستكون فتاة الحانة لهذا العام (مما يسمح لها بإصدار الأوامر لباقي الفتيات وعليهن الطاعة لمدة شهر كامل كما يسمح لها بمغادرة الحانة وقتما تشاء)،ولو أقنعته بقضاء ليلة معها وكشفت لنا عن قدرته الجنسية (فربما عزوفه عنهن كان لضعفه الجنسي) ستفوز بحصيلة الليلة من النقود.

ولم أشاركهن الرهان (تقول ذلك هيلين) لحدس بداخلي يخبرني بصدق عزوفه ونُبل شخصه وأن خسارتهن جميعا هو الأمر المؤكد.

وقد كان، خسرن جميعًا فالليلة كلها كانت على الرهان ولم يلتفت لإحداهن قط، وحينما عرف بذلك صاحب الحانة خصم من جميعهن راتب

شهر كامل، وتراجع في الخصم نصف الشهر بعدما رجوته وقصصت عليه أمر الغريب صاحب المعطف الأصفر، نعم هكذا أطلقنا عليه مؤخرا (صاحب المعطف الأصفر)!

جاء في اليوم التالي وفي هيئته شيئا من النشاط والهمة، لم يتجه كعادته نحو مقعده على البار وإنما لاح ببصره في أرجاء الحانة وكأنه يبحث عن شيء وحينما وقعت عيناه على الطاولة التي أجلس عليها ابتسم لي وانحنى برأسه قليلا وهى إشارة النبلاء في استدعاء الآخر

حينها غمرني شعور أني أدركت ما يُصيبه من عزلة وكآبة لازمته منذ أن خطت قدماه الحانة

وذهبت إليه فأفسح لي موضعا بجواره، طلب لكلينا كأس من نبيذه الأحمر المفُضل، ودون أن ينبس بكلمة رجوته أن نمضي الليلة في غرفتي في الدور العلوي للحانة، هز رأسه يمينا ويسارا (رافضًا) وهو يبتسم بهدوء، فقبضت على يديه شعرت ببرودتهما فتحسستهما بشفتي ودفء أنفاسي.

وقلت:حتما قلبك دافئ فأصحاب القلوب الدافئة تجد أيديهم باردة.

سألني عن اسمي فأخبرته عن اسمى الحقيقى (كلوديا) من أصول غجرية ولكن هنا لا يعرف عني سوى اسم (هيلين) وهو اسم من الخيال أستخدمه بعض الوقت ليس إلا، لا أعرف لماذا أخبرته بجزء من حقيقتي بيسر وغير حذر، ولم لا أخبره وهو شخص لا يسعك سوى أن تكون أنت أنت في مجلسه.

رجوته ثانيا: أن نقضي ليلتنا هذه في غرفتي، ليس من أجل المال أو الفوز بترويض شخص صعب أمام الفتيات، فتيات الحانة اللواتي صوبن أنظارهن نحونا طوال الوقت، فضولا وحيرة وغيرة أيضا.

وأخيرا تحرك معي نحو الغرفة العلوية متأبطًا ذراعي شعرت شعورا رائعا،شعور فتاة في ليلة عُرسها، لم أكن أعرف كيف هي سعادة المرأة وهى متأبطة رجلا تشعر مع بالأمان

مكث على طرف السرير ونزلت على ركبتي بين قدميه وأنا أزيل من على جسده معطفه الأصفر وملابسه الداخلية وفى حالة سكون: (تظن الفتيات أن لحظات السكون لدى الرجال رفضا لا تطيقها) ولكن سكونه كان مختلفا سكون وأمان غريب، جسده لم يكن باردا كيديه بل كان دافئا، حاول أن يرفعني من الأرض فالتففت حوله وضعت خدي أعلى ظهره ويداي حول خصره.

وقلت:أظن أنها امرأة التي تجعل من شخص نبيل مثلك يكون بمثل تلك الحالة، أقسم بالله أنها أنثى حمقاء تجردت من عقلها وشعورها الأنثوي.

استلقى بنصف جسده على جدران السرير ووضع رأسي على صدره ويده تُلامس خصلات شعري يتحسسه.

وبصوته الهادئ: لا، لم تكن أبدًا حمقاء بل كانت أجمل فتيات الأرض على الإطلاق ألقاها القدر في طريقي، الحماقة يا صغيرتي سمة الرجال لا النساء،

كانت أيضا من أصول غجرية وتغلب عليها الملامح الآسيوية ممشوقة القوام، ملائكية الروح بريئة المشاعر.

سألته عن اسمها، لم يُجيب سوى بشيء واحد.

(إنها ملاك ضل طريقه فسقط أرضا)!

-ولماذا الملاك يهجرك!

-لأني شيطان مغلف بجسد بشري، أرأيت توافق بين ملاك وشيطان من قبل ؟!

أما عن حالتي تلك التي تسألينني عنها فسببها هو التحدي، نعم تحدي القدر منذ الصغر وأنا أتخذ من القدر ندا، فلم أرض أبدا بوضعي ومكانتي فكنت دائما متمرد.

أنا والقدر نلاعب بعضنا رغم أنني فرد لا أمتلك من أمري شيئا إلا أن القدر جعل مني ندا أيضا، وأقسم أن يجعل حياتي جحيما فالقدر قاسي بحجم الحياة.

-القدر يا عزيزي هو ما نصنعه فلا تدع الخيالات تربك حياتك واصنع حياتك كما تشاء.

-ربما.

وقف واتجه نحو نافذة الغرفة وأزاح ما عليها من ستار، كان الجو ممطرا وضبابيا ونظر نحو السماء ومع صوت البرق قال: أريد الموت لدقيقة أو دقيقتين أعتقد ستكون هذه الدقائق هي الأغلى في الحياة.

قلت له مازحة: وكيف تريد أن تموت وأنا القاتلة لك لا محالة.

-إن وقفت موقف المحكوم عليهم بالإعدام سأختار الموت على يد قناص يصوب باتجاه رأسي موضع الأفكار تحديدًا وقتها حتما لن أشعر بأي ألم، فأنا لا أريد لأفكاري أن ترافقني بعد الموت.

تأبطت ذراعيه من الخلف وأسندت رأسيا على كتفه!

-هجرتك من كنت تظن يوما ما أنها تحبك، وانتصر عليك القدر واستسلمت لليأس وغصت في العزلة والكتمان، فقررت أن تموت ببطء، أستطيع أن أكون لك حياة إن أردت.

-أنتِ حياة لكن أنا من يقتل الحياة، لم أكن جديرا بتحمل مسؤولية فتاة جميلة في حياتي، فهجرانها كانت نتيجة حتمية لا جدال فيها، وهجرانك أيضا نتيجة حتمية، فالهجر أمرا تسعد به المرأة أكثر من اللقاء، أما عن القدر فلدي معه مواجهة أخيرة أستعد لها.

-أتستطيع أن تنتصر على القدر ؟!

-بغية القدر من المرء منه هو الشقاء، يسعد القدر بشقاء الإنسان حتى الموت، ولذلك فأنا أتجه نحو الموت سريعا دون شقاء، لكم وددت يا كلوديا لو انشقت الأرض الآن من تحت قدميَّ لأختفى عن مقدرات القدر، ارتدى معطفه ودب يده في بنطاله بعض النقود يمنحني إياها ولكني رجوته أن يبقي قليلا.

سارع باتجاه الباب، فطلبت منه أن يخبرنى باسمه، نظر وهو يبتسم وعيونه تغمرها الدموع: لقاء آخر في حياة أخرى..

12
الآنسة س

"كانت الآنسة (م) معجبة بالشاب (ج) لكنه لم يحمل بقلبه أية مشاعر عاطفية، فمنذ عام تقريبا قد جمد كل مشاعره وألقى بها في بحيرة المدينة تنعم بها الأسماك، وأصبح مشغولا بأمور الحياة ومصادقة الطبيعة ومرافقة الطيور ومحاولة الكشف عن قوانين الطبيعية التى قد تخفى عن البشر. كان انشغاله ملحوظا للعامة وظن بعضهم أنه قد فقد عقله، فقد كان مشغولا بالطبيعة والحياة بقدر اهتمام الحمقاوات من النساء بكيف يكنَّ جميلات بعكس حقيقتهن!

وفي صباح بهي، بسماء صافية، خرج لساحة المدينة. يعادل ما بين مظاهر القبح والجمال في أكبر ساحات مدينته جلس في المنتصف وبدأ في إحصاء ما يحيطه من أشياء، أوراق الشجر المتساقط على الأرض وفضلات الحيوانات والأشجار تعلوها الغربان بأصواتهم المزعجة، عصفور يغرد وحيدا وقط يتعقبه وبينما هو كذلك".

"تقع عيناه على الآنسة "م" والتي كانت تتبعه بنظرها، ويجوارها السيدة "س"، إنها فتاة ولكن جرت العادة أن نطلق كلمة سيدة على فتيات النبلاء، الجميلات طوال الوقت.

كانت خصلات شعرها تداعب الريح.

سأل نفسه: كيف لهذه السيدة الجميلة أن ترافق الحمقاء الآنسة "م"!

أمن الممكن أن تكون للطبيعة دخل أيضا في ذلك؟!

جميلة مع حمقاء، وإن كان ذلك من عدالة الطبيعة فأين تلك الجميلة التي ترافقني!

أم أنه جميل والطبيعة تهديه لتلك الحمقاء "م"!

ربما ولكن ود من قلبه أن تعتبره الطبيعة من ضمن الحمقى كي يسعد بمرافقة الآنسة (س) تحقيقا للعدالة الاجتماعية.

وأنا أيضا أثق في الطبيعة وقوانينها".

13
الفندق

لم أُغادر غُرفتي منذ عشرة أيام متواصلة، غرفة بالفندق المعروف بين الغرباء فندق الأرملة الحسناء، كان في الأصل منزل تعيش فيه مع زوجها (جمعهما الحب وفرُقهما الموت) فقدته إثر مرض خبيث لم يعرف له علاج، لطالما أدهشتني قوى الحب أمام الحياة واستنكرت ضعفه أمام الموت. بقت السيدة وحيدة لفترة ليست بالقصيرة تعاني فيها وحشة الوحدة وحدها، أدركت أن الوحدة نهاية الجميع فحتما سينتهي بك الأمر وحيدا، وكل ما عليك فعله أن تصنع من وحدتك حياة استطعت، بادرت لذهنها فكرة أن تقيم بمنزلها فندقًا خاصًا ينتشلها من وحشة الأيام والوحدة والفراغ.

أقمت فيه حيث إنه يبعد عن المدن والبشر

وبعد ثلاثة أيام من إقامتي وعدم مغادرتي للغرفة ظن بعضهم أنني مت بالداخل

وتهادى ظنهم رويدا بعد أن طلبت من العامل بعض الخبز المحمص فظنوا أني مريض بمرض معدي وأخشى الخروج، وحسنا ما فعلت والحقيقة، نعم أنا مريض، ووددت لو كان مرضي معديا، ولكن، وآسفاه!

مريض لا يزوره إلا أشخاصا يختارهم بعناية ويتقوقع معهم فى أشد الأماكن عمقا بداخلهم ويتشبث حتى بأرواحهم.

والصعوبة في الأمر أنه يأتي بغتة دون أية مقدمات.

نعم أنا مريض ومرضي هو الإحساس.

قد يفاجؤك الأمر يا عزيزي، وقد يسخر أحدهم، أو تشمت حمقاء، أو يشفق أهوج.

لكنها الحقيقة، أن تكون ذا مشاعر صادقة لهو أمر مرهق يجعلك في مصاف المرضى.

بدأ الأمر حيث التقيت بها، لا أعرف أين، لكن كل ما أتذكره عينيها ويديها وهي تحدثني عن القدر، أتذكر حديثها عن الملائكة والشياطين وكيف كانوا ولماذا أصبحوا؟!

أتذكر ابتسامتها الساخرة وهى تنظر نحو السماء وتحدثني عن كائنات أخرى تشاركنا الحياة ولا نكترث لأمرها.

أتذكر كيف كان حديثا واحدا فى مقابلة واحدة فى مكان مجهول، أصابني بكل تلك المشاعر والأحاسيس تجاهها.

لم أتشجع وقتها بالسؤال عن اسمها أو أين تُقيم، ولا أُخفى عليك عزيزي القارئ أن نصف صمتي وقتها كان للتشجع لذلك ولكن ثقل لساني لم يسعفني.

شاء القدر أن يجمعنا في حفل موسيقي في ساحة المدينة التي أقيم فيها اقتربت منها وجدتها تبتسم وبادرتني بالتحية وعلى الفور رجوتها أن نبتعد عن الصخب.

وذهبنا بعيدا لا أعرف إلى أين، ولكن في مكان لم يكن فيه أحد سوانا أو هكذا تخيلت!

جلسنا متكاتفين على أرض عالية!

أخبرتها عن اسمي كي تخبرني عن اسمها

اسمها (جيدا) اسم لا يحتاج السؤال عن معناه وإن كان الاسم على فتاة أخرى لكنت سألت عن معناه، أما هي فصفاتها تشرح المعنى، لا أعرف إذا كنت سمعت هذا الاسم من قبل أم لا!

وإن كنت سمعته من قبل ولم أتذكره فهو أمر بديهي، لأن اسمًا بهذا الشكل لا يُطلق إلا على فتاة مثلها لا يُنسى بسهولة.

مضى نصف الليل ونحن نتحدث عن أول حديث جمعنا!

وقررنا أن نتواعد في نهاية كل أسبوع في هذا المكان!

لا أعرف إذا كنت أذهب سيرا على الأقدام أو بسيارة!

لا أعرف حتى اسم المكان أو أنه يتبع أي مدينة!

لم أكن وقتها أتذكر سوى شيئا واحدا (هي) ماذا حدث في الأسبوع الماضي!

وماذا سيحدث الآن!

لا أتذكر سوى ملامحها وهى تُحدثني عن صغار الحيوانات

(كيف يلدن، وكيف يعشن! ومراحل حياة الحيوانات)!

كانت تدرس الطب البيطرى ودراستها لهذا المجال كان لحبها الشديد للحيوانات

(كائنات ضعيفة لا تجد من يُسعفها أو يفهمها بسهولة) كانت دائمًا تقول هذه الكلمات

"كثُرت لقاءاتنا وتنوعت أحاديثنا ومضت أيام أو شهور أو سنين لا أتذكر"!

(وقعنا في الحب ولم نعترف)!

وما حاجتنا إلى الاعتراف أو التلفظ بكلمة حب وكل أفعالنا يغمرها الحب، لم أنتبه للطريق إلا في غيابها

لم تأت، انتظرتها طويلا ولم تأت! مضى شهر كامل على غيابها!

وأثناء حضوري لإحدى حفلات موسيقى المدينة وقعت عيناي على فتاة تقف بجانب الطريق وعلى مقربة منها رجل يكبرها سنا.

إنها هي وربما الذى يُجاورها والدها فتشجعت وتوجهت إليها

ثقل قدماي لا سبب له، اقتربت منها ولم تُلاحظ قدومي، ربما نسيت ملامحي!

اقتربت أكثر وجدتها تتأبط ذراعه ضاحكة وهو يُقبّلها!

لا، لم يكن والدها بل زوجها حتما زوجها الذى تكون معه بكل تلك الأريحية

وبدون وعي وجدت قدماي تأخذنى لبعيد، بعيدا عن المدينة كلها!

ليس لمكان يشهد على حب لم تعرفه الكلمات

وجدتني هنا في هذا الفندق وحيدا، منعزلا لا أطيق رؤية الآخرين.

14
نــوال

خُطاه السريعة، انحناءة كتفه الأيمن، نظراته تسبق قدميه

بقعة من الشعر الأبيض تُثقل رأسه من الخلف، يواظب على الخروج ليلا للتبضع ويعود سريعا دون مخاطبة أحد، فقد سئم البشر، بل سئم الحياة جميعها أراه في الساعات الأخيرة من الليل وهو ينظر تجاه السماء.

في البداية توقعت إنه يُحب النظر نحو السماء ورؤية القمر في مراحل اكتماله ولكن حينما دققت النظر وأصغيت السمع، سمعت تمتمات مختلطة بدموع تخط خديه، حاولت جاهدا فهمُها، حتى أدركت من كلماته اسم (نوال)!

فتذكرت سريعا الحادثة التي أودت بحياة زوجته منذ عام.

فأدركت كم كان عظيماً ووفياً وودت لو قاسمته الألم كي يهدأ ويستكين

تُري ما الذي يرجوه من ربه الآن؟!

رجاء أم صرخة لا أدري، وربما اليوم رجاء ليُعجل من أمره ويذهب حيث هي! وربما صرخة نحو السماء متسائلًا: أهكذا تنتهى الأمور! ببساطة تنتهي أعمار وآمال وأحلام!

15
الجدار

قد وضع كف يده على الجدار المجاور للسرير (وهى عادة يلجأ إليها لبرودة الجدار الذى يهدأ من حرارة جسده ويساعده على الاسترخاء) ولكن هذه المرة وفجأة هدأ صخب ذهنه وبدأ يسمع كلمات وجمل واضحة ومفهومة.

ما هذا؟ بدا مندهشًا سائلًا نفسه!

ورفع يده من على الجدار سريعا نافذا ببصره في أركان الغرفه لعله أمر خفي يريد كشفه وفور أن أرخى يده اختفت الأصوات

وعادت بعض الضوضاء المعتادة والكلمات الغير مفهومة مصدرها

وضع كف يده مرة أخرى على الجدار

وعادت الأصوات والجمل مرة أخرى

ضغط بيده على الجدار واشتد تركيزه كلما اشتدت يده تماشيًا مع الجدار

فسمع صوتًا لزوجين!

نعم..

رجل وزوجته يتشاجران،وربما يتصارعان وهناك بعض الأشياء تنكسر

تتعالى أصواتهم (يرى المشهد بوضوح تام ولم يفهم ماذا يحدث له)؟!

وهدأت فجأة أصواتهم وأرخى جفنيه واستدعى صورتهما

إنهما الآن يتعانقان سويا بروية واستلقى كلاهما على السرير

وبدأت المصالحة الزوجية الخاصة التي بدا منها أنهما حديثا الزواج، فحديثي الزواج فقط يعرفان سبل الصلح سريعا.

رفع كلتا يديه من على الجدار

واستلقي وحيدا على ظهره ولم تمر ثوانٍ وقد غلبه النوم، ككل الأشياء التي تغلبه سريعا

استيقظ فى الصباح ولم يتذكر شيئا فى الثواني الخمس الأولى، كم هى ممتعة تلك الثواني الخمس فور الاستيقاظ لا يُدرك المرء فيهما من هو؟وأين هو؟! وماذا يجب عليه أن يفعل!؟

كم هي فاجرة تلك الثواني التى سرعان ما تختفي!

انتبه وعاد يتذكر ما حدث له ليلة الأمس

كيف حدث ذلك!؟ سائلًا نفسه

عاد ووضع كف يده ولكن هذه المرة لم يسمع أو ير شيئا!

تذكر شيئا هاما لعله الإجابة على سؤاله، نعم ربما هذه هى الإجابة..

16
الطبيب النفسي

ذات صباح استيقظ وتحسس وجهه فوجد ندبة خفيفة بطول جبهته نظر في المرآة، وقال في نفسه ربما حشرة زحفت على وجهي ليلا دون أن أشعر.

وفي الصباح التالي، استيقظ ووجد حول سبابته في يده اليمنى خصلة شعر طويلة لونها أصفر ذهبي.

نظر حوله باندهاش المجنون!

وحاول تذكر ليلة الأمس فلم يزره أحد أو حتى صادف إحدى الشقراوات الحسناوات اللاتي تعرفنه عن قرب وتعتدن زيارته، تجاهل الأمر.

وألقى بخصلة الشعر من شرفته لتطير في الهواء تتبعها بنظره لدقائق لاحظ تطايرها أمامه رافضة السقوط على الأرض.

ذهب لعمله وعاد مرهقا حيث إنه يعمل مديرا لأحد فنادق المدينة، أزال من على جسده الملابس سريعا واتجه نحو مضجعه.

لم يشرب كوب اللبن الدافيء كعادته، وولج غرفته وأسقط مشعل موقد.

فأصبحت الغرفة كالحة الظلمة، وهو ما يهديء أعصابه ويساعده على النوم بسرعة، وألقى بجسده فوق سريره

ولكن هناك شيئا يؤرقه.

يشعر بصوت ولكن لم يستطع أن يدرك كُنهَ هذا الصوت

حاول تجاهله

ربما حشرة زاحفة أو فأر هجرته أنثاه فهرب منه النُعاس، قال ذلك في نفسه، ولكن الصوت لم يهدأ، فعدل من نومه وأوقد مشعله.

وظل يبحث عن مصدر الصوت في كل أركان المكان حتى أرهقه تعقب الصوت دون فائدة فسقط أرضا واستسلم للنوم.

وقبل شروق الشمس بقليل استيقظ مصروعًا ويديه تتحسسان عنقه وتتعالى أنفاسه

زاره كابوس لشيء يحاول أن يقتله خنقا! ولكن استطاع أن يفلت منه

تكرر هذا الكابوس ليلة أخرى.

وفي الليلة الثالثة لم يستطع أن يفلت من الخنق في الكابوس فضعفت قوته لكنه لم يمت، ولذلك قرر أن يذهب لطبيب نفسي.

كانت طبيبة أخبرته بأنه مرض (الجاثوم) ويكون ذلك من قلة النوم وضغط العمل وإرهاق الذهن ونصحته بأن يسافر لمكان ساحلي عدة أيام

في البداية لم يكن مقتنعا برأي الطبيبة، ولكن يؤمن باحترام التخصصات وقرر السفر لمدينة ساحلية.

مضى يومه الأول بهدوء دون أي زيارة لأحلام مزعجة

فقرر أن يغض في النوم تاليه (ربما رأي الطبيبة صائب)!

مضى ثلاثة أيام دون اضطراب أو قلق، فقط نوم والنظر نحو الشاطئ من شرفته، استعاد توازنه قليلا وظن أن الراحة والنوم قد عالجاه من (الجاثوم)

والليلة الأخيرة قبل عودته لمسكنه

بعد أن أغلق الإنارة والشرفة والأبواب وقبل أن ينعم بالنعاس

أُضيئت الغرفة فجأة فنظر نحو الباب وزر الإنارة وجده في وضع الإغلاق

توجهه ببصره في ساحة الغرفة فلم يجد شيئا!

تصَلبت أعضاؤه ولم يستطع أن يتحرك وفقد النُطق

أظلمت الغرفة ثانية فهدأ قليلا ورغبته في الهرب لم تسعفه جوارحه، فزحف قليلا نحو الباب ليخرج!

أُضيئت الغرفة مرة أخرى فنظر خلفه فوجد فتاة تقف منتصبة ترتدي تنورة بيضاء قصيرة وشعرها كثيف ومخيف

التصق بالجدار، وذراعاه تلتف حول ركبتيه مرتعشا

تقدمت نحوه وكلما اقتربت زادت توهجا وجمالًا وخُصلات شعرها تتطاير خلفها

مدت يدها نحو يده فأغلق عينيه بشدة

فانحنت له: لا تخف يا عزيزي قالت ذلك وهى تتحسس رأسه

صوتها كان بمثابة غطاء حط على جسده في ليلة ثلجية

فتراخ جفناه ونظر تجاهها ومازالت يدها ممتدة فأمسك بها ووقف معا جلسا متقابلين!

وبدأت بالحديث عنها

(نيرا) أميرة من أميرات قبائل تحت الأرض عمرها قارب على المائة والثلاثين عاما تحيا حياة هادئة قليلا بغير خوف وسط عائلاتها كأميرة ولكنها ضجرت من القتال، تحكي عن قتال دام مائة عام بين القبائل فلم تنعم بسلام قط طوال حياتها.

قبائل تحت الأرض السبعة يتصارعون فيما بينهم على القيادة والحكم، وأيهم أجدر بحكم الأرض السفلى صراع يدوم كلما دام عُمر مسئولي القبائل، فدوام الصحة والعمر ليس بميزة لدينا، أعرف أنك البشر تتمنون دوام الصحة وطول العمر ولكن أتعلم يا عزيزي كلما قصر العمر كلما شعرت بالحياة.

منذ عشرين عاما وأنا أتلصص على البشر، كيف تحيون، أشفق عليكم حينا، وأسخر منكم كثيرا.

ولكن لا أنكر رغبتي الشديدة في العيش وسطكم كبشرية، ووجدتك أنسب البشر لمرافقته

قالت ذلك ومازالت يدها تقبض بخفة على يديه

أخبرها بأنه وغد لا يستحق مرافقتها فهو يقتل النمل بكل أريحية

(هل صادفت وغد يقتل النمل بأريحية ويبصق على البشر من الشرفات)!

قال ذلك فابتسمت له وأخبرته أنها تعلم عنه مالا يعلمه عن نفسه

اشتعل يقظة وحماسة وقال (أنا أؤمن بحكمة وجودنا كبشر ولكن ما السبب الذي يجعلكم تحت الأرض)!؟

وقبض على يديها ثم قال: لتكن رفقتنا مليئة بالرضا لكلينا....

17
جورجينا

مات، مات فجأة ودون سبب معروف لدى أهل قريتنا، لم يكن يوما ما مريضا أو حتى في عُمر شارف على الانتهاء، مات بهدوء النسمات وسرعة الرياح وترك خلفه الصخب، والحزن والتيه والوحدة لولده (وديع) ،وديع نبيل حنا، الشاب الوديع صاحب العشرين عاما، رافقته صباح يوم أحد في زيارة للكنيسة المجاورة لكلينا وكانت المرة الوحيدة التي ألتقي به وسرنا بجانب بعض كصديقين من عمر طويل، قد تقاسم ملامحنا، أتذكر وقتها جيدا الحديث الذى دار بيننا ليس لشجونه أو أهميته ولكن لأن الحديث لم يكن سوى على أمر وحيد وهو مدى حبه وتقديره لوالده (نبيل حنا فيليب) ومدى استعداده لتحقيق حلم والده بالسفر لبيروت حيث وظيفة كاتب عدل تنتظره هناك، بناء على توصية من أحد الرُهبان هناك كان صديقًا لوالده

أتذكر أيضا كم كان سعيدًا حيث قد أصبح شابًا يافعا، خط شاربه وبدأت بعض الجيران يمدحونه أمام والده، وها هو قد أصبح رجلا يستطيع تعويض أبيه عما أشقاه طوال سنوات الفترة الماضية،الفترة الماضية،آه عزيزي القارئ!

كم كانت هذه الفترة قاسية وصعبة ليست فقط على السيد / نبيل حنا

ولكن كانت فترة قاسية على أهل القرية جميعا، حدثت هزة أرضية، وهز الأرض البشر الثرثرة،

لا يستطيع أحد نسيان هذا الحدث على الرغم من تظاهرهم بالنسيان، ويتذكرونه في الأماكن الضيقة

كل الأمور في قريتنا تُنسي، فالزمن قادر على دحض كل الأحداث، عدا تلك المتعلقة بالشرف كما يسميها البعض.

أو بالحب كما يسميها البعض الآخر

أو بالخيانة كما يحلو للبعض تسميتها

سنعود لهذا الحدث لاحقا

أما الآن صباح أحد جديد ووديع يحاول أن يوقظ أباه باكرا ككل أحد ولكن دون جدوى ولازال يُحاول، مضت ساعات اليوم الأول هكذا، ظن أن والده قد يكون في غيبوبة ما، وحينما علم بعض الجيران ترجوه أن يفعل كما يفعل النبلاء في قريتُنا، دفن الميت فور وفاته ولكنه أبى وظل على هذه الحال مدة أسبوع كامل،

يرجو الإله بأن يُعيد له والده ترجى الكهنة، التجار، السحرة، الحكماء، لم يترك باب إلا وقد طرقه أملا في إحياء والده.

كنت أنا أُراقب هذا المشهد الحزين، العبثي أيضا، عبثية القدر التي تحيط بنا جميعا

علينا ألا نأمن الأقدار وأن نحيا حذرين غير متعلقين بشخص أو شيء

فهنا ولد يكاد يفقد عقله وحياته من شدة الحُزن وقلة الحيلة وظُلمة الوحدة، وأهل قريتُنا تتقاسم الحزن والبؤس والغضب كثيرا

الغضب يسود ويقود تعاملاتهم اليومية؟ غضب ممن! غضب بسبب؟!

لا أعرف ولكنه غصب ما، يريد أن ينفجر، متى، وكيف أيضا لا أعرف!

ليس هناك أحد يشعر بالطمأنينة سوى هذا الكاهن العجوز صاحب الستين عاما

لا يملك شيئا من الدنيا شيئا سوى قطعتين من القماش أحدهما للصيف والأخرى للشتاء، الوحيد في قريتنا الذي ظهرا متماسكا ورُسمت على وجهه ابتسامة وقت كان يُخبر الابن بضرورة دفن ولده وأن ينسى أمره ويتقبل قرار السماء!

نعود للأحداث التي هزت قريتنا منذ عشرين عاما!

نبدأ الأمر بالحديث عن السيدة/ جورجيت، المرأة الجميلة التي تشهد لها الشمس والقمر بفتون ملامحها، لم يستطع أي شاب أن يجابه جاذبيتها، ورُغم ذلك كانت تتصف بالسذاجة والبراءة وخواء شخصيتها، فغالبا ما تجد الفاتنات فارغات وسُذج.

تزوجت سريعا وأنجبت (وديع) سريعا أيضا!

وكانت الحياة هادئة، مستقرة حتى أتى لأهل قريتنا، طبيب من بلاد الغرب.

لما تعرف قريتنا قط الطب في شكل مشفى أو عيادة خاصة، فكان هذا الطبيب صاحب الهندام الغربي بالقبعة الدائرية الشكل محط أنظار القرية، وأصبحت عاداته حكايات تحكى تحت ضوء القمر!

كان يبدأ صباحه باكرا بالعدو حول القرية الصغيرة من حيث المساحة، الأمر الذى ساعده على ذلك مرات في الساعه الواحدة.

ثم مكوثه في المشفى لوقت غروب الشمس

ثم يعود لمنزله جالسا عند شرفته مُطلا على الخلاء وفى يديه وتحت قدميه قنينات من النبيذ الغربي.

مثل هذه العادات غير مقبولة لدينا، وغريبة وغير لائقة، من شخص يعيش بيننا.

لذلك لم يكن يزوره أحد من القرية وإن كان مريضا.

فجميعهم ينبذونه، فكل ما هو غريب منبوذ هكذا أخبرنا التاريخ

مضى على وجوده أيام وصادف ذلك حداثة ولادة وديع

وكأن ولادته تتناسب مع ولادة شخص غريب داخل القرية

لم يكن الطبيب مرتاحا فبدا عليه الحيرة والاضطراب طوال الوقت

والوحدة سيطرت عليه فزاد ذلك من شعوره بالضيق والرغبة في الرحيل من القرية.

وفى إحدى الليالي كان الطفل وديع شديد الصراخ لم تُسعفه الأعشاب أو ترانيم الكهنة.

فترددوا في زيارة المشفى ولكن خوف الأب دفعه إلى الذهاب للمشفى

ولكن أخبره أحدهم أن الوقت متأخر فالأفضل الذهاب مباشرة لمنزل الطبيب.

وقد كان.

هنا الطبيب يجلس وسط الظلام يرى أناس متجهين نحوه، فرك عينيه، وسأل نفسه أأتعبتني الخمرة؟!

ظن أن ما يراه وهما ليس بالحقيقة

حتى اقتربوا منه، ودعوه لفحص الطفل الذى كان مستمرا بالصراخ الشديد.

وهنا اقتربت جورجينا الفاتنة واجتمعت بها مشاعر الأمومة مما زاد من جمالها

تلاقت أعين الطبيب بها وزاد من طمأنتها

وبسهولة وسريعا توقف الطفل عن البكاء بمجرد أن أسقاه الطبيب شرابا طبيا معدا للأطفال

هدأ الطفل والأب والأم

وتوهجت مشاعر الطبيب

بادرت جورجينا بشكره كثيرا وهى تحتضن طفلها والطبيب يحاول أن يفتح حديثا مطولا معها وكانت حول رعاية الطفل بشكل معين وأن منزله قبل المشفى مفتوح لهما في أية وقت.

شكره الأب وطلب من زوجته الانصراف

وفى طريق عودتهما وأثناء نعاس الطفل كان الحديث حول مهارة الطبيب وكرمه وكيف لأهل القرية أن يتجنبوه لدرجة اعتبروه منبوذًا

كان الطبيب محور الحديث حتى غطا في النوم

في الوقت الذى كان الطبيب يهيم في ظلام الليل ينيره ملامح وجه جورجينا كانت الفاتنة جورجينا تحلم بغير إرادتها بالطبيب الغربي

يبدو أن كلمات السحرة عن التخاطر أمر يقبل الصحة في بعض الأوقات

مر صباح والثاني كان الطبيب أمام منزل جورجينا بعد أن سأل على مقرهم، وكان من حسن حظه أن كانت وطفلها فقط في المنزل ومن سوء حظها ذلك

ومن هنا بدأت بعض الأقاويل السرية الغير صحيحة حول علاقة ما قد بدأت بينهما، لم يمكث طويلا، فحينما عرف بأنها وحدها، اطمئن سريعا على الطفل وغادر.

وأثناء مغادرته، قابله زوجها السيد/ نبيل، والذى غضب وقتها جدًا ولم يرد تحية الطبيب

غادر الطبيب وخلف وراءه غضب بين نبيل وجورجينا حول زيارة الطبيب، غضب لم ينته، فكان الطبيب الأمر الذي ينفث فيه السيد نبيل غضبه

غضب العمل وضغط الحياة كان يصب حول زيارة الطبيب.

مضت الأيام هكذا بينهما

وتركت جورجينا المنزل لأيام في بيت والدها هربا من زوجها الذى أصبح غضوبا طوال الوقت، ولكنها ستعود برفقة والدها ولو لم يهدأ زوجها.

مضت الأيام سريعة.

وفى إحدى الليالي الشتوية الممطرة اتجهت جورجينا نحو الطبيب بشكل مفاجئ هربا من زوجها، فما عاد الهرب نحو والدها يُجدي.

حاول الطبيب أن يُثنيها عن فعلتها وأن تعود، ولكن بكائها ورجائها جعلته يصمت أمام الحدث.

وحينما ذهب زوجها لبيت والدها ولم يجدها توجه مباشرة نحو الطبيب بحثا عنها. في الوقت الذى كانت تعتقد أن الطبيب آخر من يفكرون فيه

كان الوقت الذى يفكر فيه زوجها أن الطبيب أول ملجأها

(كم كانت ساذجة) و(كم كان غبيا زوجهُا)!

و(كم كان مصدومًا مما يحدث الطبيبُ).

أتاه الزوج وعينيه تشع غضبًا، واستقبله الطبيب بوجه مُحمر

واختبأت الزوجة عن عيونهما، ولم يدر حديثا مطولا بينهما

وسريعا توجه الطبيب نحو جورجينا لحثها على العودة

وعادت مع زوجها الغاضب، كل محاولات التهدئة باءت بالفشل واستمر الليل شاهدا على صراعهما، واستمر الليل شاهدا على حيرة الطبيب فيما فعله.

ألقى اللوم على ذاته، كيف لم يساعد الزوجة من غضب مستمر ناتج عن خيال مكذوب من قبل الزوج.

كان الطبيب يمر بالقرب من شرفتها أملا في رؤيتها

صادف رؤيتها أكثر من مرة

وفى إحدى المرات تشجعت وخرجت مسرعة نحوه وفى يدها طفلها سائلة إياه عن صحته؟!

وهنا دار حديث بينهما أخبرته أنها تعلم إنه يهيم بها، وأنه قد أصبح له مكانة في عقلها وقلبها، وتطلب منه أن ترافقه في سفره (حيث إنه يسافر للغرب كل نهاية شهر).

لم يجب عليها وقتها، وظل الأمر طي التفكير من كلا الجانبين.

هي تهرب من غضب مستمر وحياة مضطربة، وهو يُساعد فاتنة يراها ضحية القرية

وقبل سفره بأيام توجه نحو منزلها وحينما تلاقت أيعنهم ألقى بورقة بجانب باب المنزل

والتي تلقتها سريعا فوجدت فيها موعد سفره بالساعة والتاريخ

والذى كان يُصادف اليوم الثالث من حينه

استعدادها كان ملحوظا، واكتشف ذلك السيد/ نبيل أثناء صراخهم

والذى طلب منها أن تستغني عن الطفل وأن تهرب أينما تريد

وقد كان، توجهت لرصيف القطار تحت أعين الجميع، سائلها الطبيب عن ولدها فأخبرته.

حاول أن يعود بها، ولكنها خافت القتل (إن لم يكن قتلا ماديا سيكون معنويا)!

صافرة القطار أعلنت اختفائهما

اختفيا عن الأنظار ولكن لم يختفيا عن الأذهان والأحاديث والمكايدات والشفقات

مرت عشرون عاما على هذا الحدث

والذي شقا فيهم السيد/ نبيل حنا

شقاء التربية، شقاء الحزن، شقاء الوحدة، شقاء الفضيحة، شقاء المكايدة

عشرون عاما والجميع يتنظرون، ينتظرون عودة جورجينا حية أو ميتة

ينتظرون نهاية قصتها، لا يهمهم أمرها بقدر اهتمامهم وماذا بعد!؟

18
الحلم

التقى برفيقته بالقرب من البحيرة، التى اعتادا أن يقضيا وقتهما هناك

كان طويل القامة نحيف الجسد وعلى رأسه قُبعة تكاد تُخفي ملامحه ويرتدى السواد، بينما هي كانت ترتدى الأبيض دائما، فستان أبيض خفيف يتطاير مع نسمات الهواء، جميلة، نقية كبياض الثلج خُصلات شعرها الأصفر يتمايل على خديها يسر الناظرين

جلسا بالقرب من حافة البحيرة

صمت يحوطهما لبعض من الوقت وهو يتجه ببصره نحو ماء البحيرة بعد أن نزع قُبعته فرأى ملامحه فى الماء، فدقق النظر محاولًا تفادي رؤية ملامحه ليرى عُمق الماء.

ثم نظر إليها فى لهفة المجنون وقال: ماذا لو كانت أحلامنا تلك هى فى الحقيقة (أصل الحياة) هي حياة البشر الحقيقية التى يحياها البشر، وأن تمرد البشرية على هلامية الحُلم محاولة لخلق وجود أكثر نظامًا وبعيدا عن هلامية الحُلم وأسموه الواقع.

نظرت إليه وهى تبتسم بسخرية العاشقين

نظر نحو السماء وقال :تأملي معي الفوارق بين الحُلم والواقع أيهما يجدر أن يكون الحياة الحقيقية لنا

هل هو الواقع الملئ بالفُرقة والبُعد والاشتياق والمرض والنسيان والشقاء والقساوة والقتل والعنف والعداء طوال الوقت ومع ذلك فإنه مجرد حدث وقتي.

أما الحُلم حيث تكونين فيه أنت، أنتِ لا شخص أخر، لستِ مُضطرة أن تكوني بوجه آخر تجاه أحدهم، فالحلم تفعلين فيه ما ترغبين دون أية قيود، تسافرين، تطيرين، تركضين، ترتدين أو لا ترتدين لا أحد يكترث لكِ!

في الحُلم لا فُرقة أو مرض أو موت!

ولا حمقاء تُخبركِ بأني مجنون ويجب أن تُفارقيني

في الحلم نستطيع أن نكون سويا إلى الأبد

أحاطت بيدها نحو عُنقه وأخبرته أن يكُف عما يقول وعما يُفكر به

وترجوه أن يهدأ عقله وأن ينزع قُبعته عن رأسه وألا يرتديها ثانية

وأن يهتم بلحيته كما كانت تُحب أن تراه

نظر في عينيها وقبض على يديها الدافئتين وقبلهما

ثم اختفت فجأة

لم ينزعج من اختفائها فقد اعتاد ذلك، فمنذ ثلاث سنوات قد أدركها الموت بعد معاناتها مع مرض لم يتوافر له علاج.

ومنذ وفاتها أهمل نفسه وارتدى قُبعة تُخفيه عن الجميع

ويأتى هنا على حافة البحيرة كل نهاية أسبوع

كي يلتقي بروحها

كى يسعد بلقياها فهي المرأة الوحيدة التى تسمع منه أفكاره دون أن تنعته بالجنون.

19
جريمة قتل في شقة 14

جسده الهزيل يتمايل أمامها مُتدليا من حبل لمشنقة يدوية بمعرفتها البسيطة، عادت لها أعصابها وتماسكت فمنذ دقائق قد هرب منها العقل والأعصاب، وهي الآن جالسة أمام جسده المتمايل تضحك ضحكات مكتومة وصرخات تضرب في داخل أحشائها وعينيها تغمرهما الدموع، فقد دست في طعامه السُم وعقدت رباط المشنقة وحضر في جسدها قوة لم تحضرها من قبل وحملته بها كي يظهر للجميع أنه انتحر

قد تظن عزيزي القارئ أنها قاتلة مُحترفة ولكنها في الحقيقة مُحبة فقد قتلته من شدة حُبها له، فهو من رسم لها طريق حياتها وأنار لها ذهنها كي تُصبح سيدة مجتمع بفضله.

كانت في الأصل غجرية لم تعرف من المدن سوى بعض الحكاية عنها، فحياتها تقتصر على البيداء ورعاية الغنم، وتصادف أن جمعهما حديث عابر حول أحد الأديرة في منطقة بعيدة عن المدينة وبالقرب من الصحراء حينما كان يتجول كرحالة، حيث إن إحدى هواياته السفر وزيارة الأماكن الأثرية، سائلا إياها عن الدير لزيارته لأنه مُحب للأماكن الأثرية القديمة ويبحث عن معلومات حولها وهذا ما أتى به إلى الصحراء بالقرب من خيمة أهلها.

حديث لم يتجاوز دقائق ولكن كلاهما نظرا في أعين بعضهما والنظر في العين مباشرة تخلق ارتباط روحيًا لا يُنسى.

ومضى على هذه المُصادفة عام تقريبا.

وأتى إليها ثانية ولكن هذه المرة مباشرة لها ولكنه تظاهر أنه قادم من أجل الدير، طلب منها المساعدة فى عمل خاص بالمدينة وأن هذا العمل لا تستطيع أي فتاة إنجازه سواها، فرحت بالأمر كثيرا حيث إن حلمها بزيارة المدينة يتحقق فضلا على مجاورتها للعمل.

لم تسأل عن طبيعة العمل من شدة رغبتها وهو لم يبح بأمر العمل لها أو لأهلها الذين رفضوا في البداية حتى منحهم بعض من النقود تكفيهم فترة غيابها.

سيكون اسمك من الآن: سلمى، قال لها ذلك.

أما أنا فبإمكانك دعوتى:نيكول.

سلمى فتاة تقترب من الثلاثين من عمرها، بشرتها الخمرية تمنحها إثارة وعيونها الخضراء ووجها الدائري وخجلها الملحوظ وثيابها الفضفاض يجعلها محل الأنظار والأطماع أيضا كأنثى مختلفة.

نيكول شاب كسر الثلاثين عاما، مُحب للآثار، بياض وجهه مسته الشمس وشعره يميل للحُمرة، عيونه تفضح فطنته، يُجيد بناء العلاقات وتوظيف المهارات وأهم ما يُميزه باستطاعته أن يظهر بأنه غير مُميز.

ذهب بها إلى مقر أحد الأديرة القديمة والتي تغيب عن نظر إدارة المدينة فاتخذ من الدير مقرًا له في الآونة الأخيرة، لم تشعر بأي توجس نحو الدير حتى تفاجأت بوجود مجموعة من الأشخاص وهو الأمر الذى أثار فيها الارتياب الملحوظ.

طلب منها نيكول أن تهدأ وتجلس على أحد المقاعد الجانبية، بينما الثلاثة الأخرون استقاموا في مجلسهم، وقد بدأ نيكول بتعريف بعضهم لبعض.

جون/ شاب، حديث المعرفة بنيكول ولكنهما اندمجا سريعا لقرب عمرهما وحبهم للفن حيث أن جون يعمل بإحدى فرق التمثيل بمسرح الشارع ويجيد التنكر والتقمص وله وسامة جعلته من ضمن المتميزين في الفن خلافًا لقوامه الرياضي.

جاك/ لا أحد يقف على حقيقة تخصه، لأى بلد ينتمي أو طبيعة عمله أو كيف يحيا فما يعرفه الغير عنه أمر وحيد هو زياراته المتعددة للكنيسة (أو قل التسكع بين الكنائس) وربما هذا الأمر الذي يسعفه في العيش .

راؤول / بشرته السمراء وتجاعيده المرسومة الواضحة بوجهه يدلان على كبر سنه عنهما، نعم هو أكبرهم سنا ولكن عمليا هو أصغرهم من حيث التفكير والتعبير.

يمتلك عقلية المراهقين لا يشغله في الحياة سوى ملذاته الوقتيه وعشقه للمال فاق صلته بوالديه، فهناك قصة تلتصق بشخصيته وهو أن إحدى

العصابات الغربية احتجزت والديه رهينة إحدى الصفقات، ولكنه لم يهتم وهرب بالمال جميعه دون أن يعير أي انتباه لوالديه الذين قضيا نحبهما بالرصاص من قبل العصابة.

هكذا تعرفت (سلمي) عليهم مما زادها خوفًا وحذرًا لكنه مكتوم داخلها، فما يُهمها أن تبقى بجوار نيكول، وتثق فيه فليس معقولا أن يصيبها أمر مخزي بجواره

كانت هذه هي مشاعرها التي نمت سريعا وظلت تنمو أسرع من دقات قلبها برؤيته

مضى يومها الأول هادئا بعد أن طلب نيكول من الجميع أن يرتاحوا استعدادا للعمل

وفى مساءِ ذلك اليوم بعد أن توشحت السماء بالسواد ولم يبق سوى قمر يُزين السماء ويهدى السائرين.

عرض نيكول علي سلمي أن ترافقه بالسير في المدينة كي يُريها بعض معالمها والتي قبلت ذلك بترحاب ودون تردد.

ارتدت ملابس تُشبه ملابس الرجال كونها في بلد غربي وهذا مألوف.

سارا متجاورين وقطعا أكثر من ميدان،في كل ميدان يقابلانه تجده يقف أمام إحدى البنايات يسرد لها بعض الحكايات عنه وهى مستمعه ،مستمتعه بذلك!

وأخيرا وقفا أمام بناية تتوسط ميدان كبير ولمعت عيناها ولاحظت ذلك وخفتت نبرته وبدءا يلتفان حول البناية هو يحكى عنه حكايات قديمة مؤثرة

وشدد عليها أن تنتبه لشخص سيخرج الآن من البناية من خلال البوابة الأمامية وأثناء حديثه وعينيهما على البوابة ظهر شخص يخرج من البوابة وهو يغلقها خلفه بسلسلة حديدة غليظة.

شخص تجاوز الأربعين من العمر، أبيض الوجه وأشقر الشعر ويرتدى نظارة نظر طوال الوقت وقبعة في الصباح والمساء وربما أثناء نومه يرتديها، فمه دائما يعمل إن لم يكن في الأكل ففي تراتيل كنائسية، يقضي حياته في حجرة نومه أو في الكنيسة المجاورة وهو ما جعله المرشح الأكبر لمنصب الأسقف في نهاية العام.

يعرف باسم (مينا خادم الرب)

ما قصة هذا الرجل؟ سألت نيكول

أمسك بيديها وجلسا على الرصيف المقابل

سأخبرك بحقيقة لا يعرفها أحد حتى هؤلاء النائمين مطمئنين في مقر الدير (يقصد جاك وجون وراؤول) وحقيقة رجل يعرفه الجميع بلقب خادم الرب

هذا الرجل اسمه الحقيقي (مينا إيفون بيدرو) وأنا اسمي (نيكول إيفون بيدرو)

"أخوك"!

قالت ذلك بعدما نظرت إلى وجهه وكل ملامحها اتخذت علامة استفهام

نعم أخي الأكبر الذي لم تجمعني به الحياة بلقاء سوى من عشرة أعوام، كان لقاء بعدما توفي الوالد أثناء سفري ،وحينما عدت كان لقاؤنا مجرد دقائق انتهت بطردي من المنزل وحينما طلبت منه حصتي من المنزل وما تركه الوالد:

فلم أجد سوى الطرد والإهانة والتهديد بالسجن بتهمة الاعتداء على رجل دين

وفى مدينتنا رجل الدين كلمته أقوى من الرصاص نافذة

عشرة أعوام وأنا أتسكع بين الأزقة والأديرة

عشرة أعوام وأنا أتوسم عملًا دائمًا

عشرة أعوام أحيا حياة اللاجئين وأنا أمتلك منزلًا وبعض التركة ما يساعدني على الحياة بشكل كريم

قبضت على يديه لتهدئته

سأجد منك المساعدة على استعادة ما أملك من أخي؟ قال لها ذلك

بالتأكيد، قالت ذلك بكل حماسة

وفى صباح اليوم الثاني أجتمعا بالجميع وأخبراهم بالعمل الذى جمعهم له الأسقف المنتظر (مينا خادم الرب).

رجل دين كما تعرفه المدينة ويجمع عليه أهلها، شديد الحرص، ليس له أصدقاء، عظيم الثراء محب للنساء وشارب للخمر وهذا ما لايعرفه الآخرون.

وهذه الصفات التي سنعمل عليها للإيقاع به في شباكنا

وهدفنا هو الاستيلاء على الأموال التي يدخرها بمنزله والأوراق الخاصة بملكية هذا المنزل

وستعمل خطتنا وفق أربع خطوات سنستخدم فيها صفاته المعروفة والغير معروفة

الأولى كونه أسقفًا ودائم زيارة الكنيسة وشديد الحرص ويتطلع لمنصف الأسقف الجديد فهنا سيكون دور (جاك)!

جاك سيستغل قربه من الأسقف الحالي وعلاقاته برواد الكنيسة ويقترب بدافع المساعدة في حصوله على المنصب وهذا الأمر سيكون سهلا فالحالم بسلطة ما سهل الوقوع.

الثانية وكونه مُحبًا للنساء وخاصة الأجنبيات، الغرباء عن المدينة سيأتي دور سلمى وهدفك هو ألا يطال منك شيئا وكلما زاد شغفه زادت سيطرتك وسيكون راؤول والدك المحب للمال أكثر من أسرته.

أما جون سيأتي دوره بعدما تقضي على بوابته وتسيطرا على المنزل

انفضى الاجتماع وبدأت ثرثرة بسيطة بعده انتهت بخروج الجميع لحديقة الدير يتلامسون بأيديهم هطول الأمطار ببهجة رُسمت عليهم

وفى صباح يوم أحد يتجه (مينا خادم الرب) للكنيسة باكرا ليستقبل الجميع بحفاوة وحينما وصل وجد شخص آخر قد سبقه (جاك)، سأل عنه فأخبروه أنه أكثر المسيحين زيارة للكنيسة فتوجه نحوه ورحب به وهم بتقديم نفسه.

فبادر جاك بالابتسامة وأخبره بأنه يعرفه جيدا مينا خادم الرب ومن أشد المؤيدين له كأسقف لمدينتنا ودار بينهما حديث قصير بدأت خلاله العلاقة تكبر

وهو الأمر الذى شجع جاك في الحديث عن مينا لكل القادمين للكنيسة وأيضا على هامش الصلاة قد اجتمع بالمصلين ليُخبرهم كم سيكون عظيما لو أن مينا أصبح أسقفا مراعيا لكنيستنا خادم للرب.

ذلك الأمر الذى أسعد مينا وأخبره أن يزوره مساءً في منزله

وقبل انتهاء اليوم وأثناء مصافحة المصلين لخادم الرب (مينا)، تقدم نحوه مُسن يبدو من ملامحه أنه غريب (راؤول) وتلتف حول يده فتاة بيضاء عيونها الواسعة تزيدها جمالا وقبعة فوق رأسه المُزين بشعر أصفر.

صافح مينا المُسن

وشدد على مصافحة الفتاة

أأنتم غُرباء ؟! قال لها ذلك

أنا والدها راؤول وهذه ابنتي سلمى ننوي الإقامة هنا وفى رعاية أسقف منتظر، تُحبه المدينة

نظر مينا إلى الفتاة وأخبرهم أن يأتيا صباح الغد لو احتاجا أي مساعدة

وانتهى اليوم، وقد تحققت الخطة الأولى بنجاح وسرعة كما رتب لها نيكول، وفى المساء ذهب جاك إلى منزل خادم الرب كما أخبره في الصباح

وقف طويلا أمام المنزل حتى تذكره مينا وفُتح الباب إليكترونيا كي يدخل

المنزل من أربعة طوابق وكل طابق به أربعة شقق وكلها مغلقة عدا الدور الأخير يسكنه مينا عدا شقة 14 مغلقة

رحب به، وسأل جاك عما منعه من فتح الطابق جميعه وأن يبقيه شقة واحدة، لماذا أبقى على شقة 14 مغلقة؟!

المنزل كان يعج بالسكان ولكن ذلك كان منذ وقت بعيد، أخبره بذلك مينا. وأن شقة 14 تخص العائلة، وبعدها نظر إليه بغضب وأخبره ألا يسأل كثيرا ولا يتدخل في الشئون الخاصة.

ودعنا نعرف ماذا يمكنك فعله معي في الحصول على منصب الأسقف!

هَمَّ جاك بالحدث فقاطعه مينا وسأله عن العجوز راؤول وفتاته

إنها فتاة جميلة وملامحها الغجرية تثير الرجال، قال جاك ذلك وهو يضحك عاليا

فضربه مينا بكتاب كان يحمله بيديه

أنا سألتك عنهما وليس عما يثير الرجال !

ومضيا في حديثهما بعد ذلك عن عدد رواد الكنيسة التي يمتلكها أو يعرفها جاك تساعد مينا في الحصول على منصبه وانتهت الليلة بمغادرة جاك للمنزل وفي جعبته بعض الصور للمنزل والشقة التي يُقيم بها مينا

وفى صباح اليوم التالي توجه مينا للكنيسة وحينما دخل وجد سلمى الغجرية بقبعتها السوداء وزيها الواسع الأنيق تجلس على إحدى المقاعد بينما والدها يُشعل الشمعات ويحادث الرب

جلس بجوارها مينا وألقى عليها التحية والتي ردت التحية دون أن توجه نظرها إليه

أخبرها بأن مباركة الرب لها ستكون الأسهل كلما ظلت بجانبه

سائلها عن كونها متزوجة!؟ لم تجب

وتركته وتوجهت نحو والدها

والدها الذى تركها وتوجه نحو مينا وأخبره أن فتاته مازالت عذراء رُغم سنها الذى تجاوز الخامسة والعشرين، فأريد مباركتك لها كي ينفك نحسها وتتزوج وترزق بأولاد وأحفاد

هنا فُتحت شهية مينا نحو سلمى

وطلب من والدها أن يزوراه في بيته قريبا وحينما ترددت سلمى

أخبرها أن تأتى مساءً اليوم بمنزله كي يمنحها التبريكات

هنا تحققت الخطة الأولى والتي رسمها نيكول وبسرعة أدهشته،مما جعله يسرع فن عرض الخطة الثانية.

والتي ستبدأ أثناء تواجد سلمى في منزل مينا مهمتها أن تعرف أين يخبئ أمواله وسنداته الخاصة

وقبل المساء بساعة توجه جاك لمنزل مينا والذى قد طلبه الأخير أن يأتي كي يساعده في الانفراد بسلمى بعيدا عن والدها الملاصق لها

واجتمع الجميع على طاولة العشاء وبعدما انتهوا من ذلك، طلب جاك من العجوز راؤول الذهاب للمطبخ كي يعد الشاي للجميع

وهنا انفرد مينا خادم الرب بالفتاة الجميلة ،وأخبرها برغبته في الزواج منها ولكن سيكون ذلك سرا بينهما ولن يعرف ذلك سوى والدك فقط.

وعرض عليها مبلغ من المال

سائلته لا أعتقد أن لديك مالًا كافيًا لترضي به والدي!

قال بتلهف: إن لدي مالًا وفيرًا أكثر مما يتخيله والدك، سأضعه بين يديك إذا وافقت أن تشاركيني وسادتي

والدي لن يرض سوى بمليون فرانك وما أعرفه أن البنوك في المدينة لا تسع لذلك المبلغ الآن

أنا لا أثق في أي بنك أنا لدي مالي الخاص وبنكي الخاص!

هنا، هنا يا جميلتي!

هنا! أين في هذه الشقة ؟! قالت ذلك باستفهام واضح

يكون من الغباء لو ادخرت مالي في مسكني ولكن ما أود إخبارك به أنا لدى مالًا وفيرًا لا أظن لأحد في بلدتنا يملكه

قال ذلك وعيناه تتحركان نحو الباب نظره ينفذ من الباب ليصطدم بالشقة التي أمامه

شقة 14 المغلقة منذ عشرات السنين

أدركت على الفور أن هذا الشقة هي بنكه الخاص

وتذكَرت على الفور تعليمات نيكول بألا تمنحه وعد أو كلمة

فهمت بالانصراف بعدما جاء والدها شاكرين له حسن استضافته

انصرف كلاهما وبقي جاك ومينا

مينا ظل طوال الوقت يفكر فيها وكيف ينال منها هذه الفتاة

لم يصادف سيدة صعبة المنال مثلها منذ سنوات

ولكن لا يهم ستأتى غدا وسأنال ما أريد،(هكذا كان يحادث نفسه)

صباح جديد واجتماع جديد وخطة أخيرة يشارك فيها جون وعلى هامش الاجتماع كانت هناك فتاة يراها الجميع لأول مرة، سمراء اللون نحيفة الجسد وقوامها مثير وشعرها الأسمر الناعم يتطاير مع نسمات الهواء ودائما ما تضع يدها على كتف نيكول أو أن تجلس بجواره دون أن تشاركهم الحديث

كان السؤال عنها لا يشغل أحد سوى سلمى ولكن لا تعرف لمن تلجأ لتسأل عنها

سألت راؤول الذى لم يهتم بالإجابة، ولكنه أخبرها أنه قد سمع ذات مرة أن نيكول ارتبط بفتاة من الجنوب ولم تدم العلاقة بينهما لقلة المال.

فالنساء دائما ما يميلون للعلاقة التي يرافقها مال وفير

وفى المساء ذهبت سلمى لمنزل مينا كما هو متفق مع نيكول وباقي فريق العمل

رحب بها مينا على الرغم من تفاجئه بقدومها في غير موعد سابق ولكن تلك اللقاءات دائما مرحب بها

كانت مشتتة الانتباه قليلًا، فكان يشغلها أمر نيكول والفتاة السمراء

فحينما دخلت شقة مينا اتجهت نحو الشرفة وكان يتجه نحوها بكوب من النبيذ الفاخر وحينما أمسك بالكوب بادر هو بإزالة عنها معطفها الأسود والذى كشف عن كتفين شديدي البياض، عظيمي الإثارة، ونهدين ثابتين يجذبانه.

حاول أن يفتح معها حديث، سألها عن بلدها وطفولتها، وأناملة تداعبان خصلات شعرها.

وفى هذه الأثناء كان جون بخفته المسرحية يُدير تصوير ما يحدث بينهما باحترافية جيدة

جون قد دخل من البوابة التي فُتحت إلكترونيا لها

فكان خلفها مباشرة واستطاع الدخول قبل انغلاق البوابة

طال الحديث بينهما وشرب كلاهما أكثر من كأس فطلب مينا أن ترافقه نحو غرفة النوم الخاص به.

إلى أن وصلا للغرفة كان قد أزال من على جسده كامل ملابسه

وفجأة وجد قوة في يديها تُسقطه على وسادته

وحاول أن يستعيد وعيه والذى غاب سريعا فور رؤيته للكاميرا تحوم حوله بيد جون

وهو الأمر الذى أفقده تركيزه وبيديه سريعا أحاط جسده بغطاء السرير سائلا عما يحدث بتوسل.

في الوقت الذى ذهبت فيه سلمى للزر الإلكترونى لفتح البوابة لـ نيكول ومرافقيه (جاك واراؤول وفتاته السمراء)

وارتدت سريعا معطفها الأسود وقبعتها

وقدم نيكول وكان اللقاء الثاني الذى جمعه بأخيه منذ عشرة أعوام ولكن هذا اللقاء كان الأخ الأكبر مطرودًا

بعدما أحكما قبضتهم عليه تماما .. فتم تصويره عاريا

وتصويره في محاولته لترويض فتاة عذراء يتيمة لوسادته

وكانت هذه الصفقة هي الأفضل لنيكول، والتي جرت وقتها أن يترك لهما المنزل وأن يهرب بعيدا عن المدينة مقابل ألا يُفضح ويُسجن لسنوات طويلة

احتفل الجميع بما تم، وأثناء احتفالهم قرر نيكول أن يعلن زواجه من ماريا الفتاة السمراء التي ترافقة وهو الأمر الذى نزل كالصاعقة على سلمى

لم تستطع أن تكبت دموعها فجرت سريعا نحو المطبخ وحاولت أن تتماسك وبعد دقائق، خرجت وهى تتصنع الفرحة، ووعدتهم بعشاء من يدها مساء الغد

ولكن (جاك،جون،راؤول) قد اعتذروا لذلك فبعد أن ينالوا حقهم المادي سيهرعون للتسكع في أماكنهم الخاصة.

فذهبا الجميع وبينهما ماريا التي ستأتيهم في عشاء الغد، وترك نيكول سلمى بالشقة وذهب للشقة رقم 14، وظل طوال الليل في تنظيف الشقة بعدما عثر المستندات الخاصة، بينما سلمى ظلت طوال الليل تفكر في أمر إنهاء حياته.

صنعت مشنقة من مفرش حرير، كما ظلت طوال الليل تعد للعشاء وهي في المطبخ، وجدت عبوة "وارفارين"، مبيد حشري قاتل، وضعت كميات كبيرة منه في الطعام، وكان هذا أسرع اختيار بالنسبة لها هو أن تضع له السم في الطعام، وفى صباح اليوم التالي سارع نيكول للمطبخ فوجد للطعام رائحة شهية، وهو الأمر الذى دفعه للأكل وبنهم فقُضي عليه فورا ..

20
رحلة

"رأنى أم لم يرانى " تسأل نفسها خفية وتفضحها عيناها،مرت من أمامه دون أن يعيرها أية اهتمام وهو الأمر الذى أثار حفيظتها

هم الآن فى رحلة الطيران رقم 777 المتجهة لبراغ عاصمة التشيك موطنهم وقد تصادف وجودهما على ذات الطائرة فى رحلة الذهاب وكان ذلك منذ عشرة أيام

وكانت تجاوره فى المقعد ودار بينهما حديث دام لمدة ساعتين كاملتين، أما الآن لا يتجه حتى بنظره تجاهها ويفعل كما يفعل النبلاء مع السيدات بأن يُبادر بالتحية

"ثلاث دقائق وستقلع الطائرة " هكذا أعلن المذياع الداخلى للطائرة ليجلس الركاب فى أماكنهم استعدادا للتحليق فوق البشر عالية بين السُحب

مازالت تنظر تجاهه منتظره أن يلتفت فتتقابل عيناهما معا وتتأكد إنه يراها، بينما هو بكامل جسده ينظر من النافذة يتأمل تفاصيل رحلة الطيران

ينظر إلى أفراد الأمن وهم يقومون بأعمالهم وينظر إلى حامل إشارة بدء التحليق وهو يتجهز لذلك بالنظر إلى الطائرات التى تُحيطه، وأيضا ينظر إلى

المُضيفات اللاتى يستقبلن الركاب على سلم الطائرة وكم هن أنيقات، نحيفات، جميلات.

المضيفات هن الجميلات وأمرا جيدا أن تُعتبر المضيفة رمزا لأناقة المرأة

وبينما هو يتأمل ذلك إذ بصوت يُفقده التركيز

"أتسمح بأن أجلس بجوارك ؟"

قالت ذلك بعدما جلست دون أن تنظر إليه

التفت إليها بهدوء كامل وبكمال الهدوء مما يدل إنه لا يعنيه أن يبقى المقعد فارغ من عدمه.

"ليكن ما ترغبين " فقط قال ذلك دون اكتراث لأمرها ثم اتجه برأسه نحو النافذة.

"أأخبرك أحدهم من قبل كم أنت أحمق ؟!" قالت ذلك وكل جوارجه تتحرك.

اتجه إليها بكامل جسده وصنع على ملامحه ابتسامة قاتلة

"نعم" ،كُثر وأغلبهن حمقاوات"!

"لماذا لم تُغير من شخصك وتكون رجلا نبيلا ولطيفا، ألم تسمع عن الحكيم الذى قال (كن لطيفا تكن جميلا)"!، قالت ذلك بصوت أقل حدة

فالطائرة قد أعلنت استقرارها فى الجو

الحقيقة يا عزيزتي أن أسوأ الجُمل على الإطلاق (من وجهة نظرى الجريئة الوقحة فى نظر البعض) هى التى تبدأ بـ "كن"

"كن " هو أمر صريح من الآخر أن تكون على غير حقيقتك وأن تفعل ما لم تشعر به

"كن " هى كلمة تخلق في المجتمع مسخ من الأفراد، يفعلون أمرا علنيًا وأمورًا أخرى خفية، وليس هناك أشد قسوة وضررا من الأفعال التى تدور خفية

"كن لطيفا " قال ذلك وهو يبتسم بسخرية ويردف

لقد كنت لطيفا فترة ليست بالقصيرة،كنت ألطف من أي كائن بريء،كنت لطيفا أُساعد الآخرين على تجاوز وحشة الحياة، نعم كان هذا ما أردته، ولكن قليلا هم من تفهموا ذلك بل نادرا ما تجده يفهمك

وكثير ممن يُشبهونكِ كانوا يُحيطون بي في تلك الفترة

فالفتاة اعتبرت اللطف إعجابا بها

وأخرى جعلته حبا وصنعت بمخيلتها المريضة مستقبلا مشترك بيننا ووأخرى اعتبرت اللطف حقا مُكتسبا ولزاما على الدوام

وسيدة وصفت اللطف بالبغاء وأضافت لي وصف (ذئب النساء)!

تحملت كل تلك الأمور بصبر لأنني أردت أن أكون لطيفا

واعتدت القول بأن تكون لطيفا هو أمر لا علاقة له بالآخرين

ولكن مؤخرا أدركت أن الآخرين هم المجتمع، والمجتمع هو الحياة، والحياة هي أن تحيا معنيا بالآخرين ولكن معنيا بهم بما لا يُزعجك ولا يضيف إلى أمراضك مرضًا أخر وهو النفاق..

يدها قد لامست يديه وبهدوء قالت:

"اهدأ يا رجل ،لم أقصد أن أُعجك على الإطلاق"!.

"لا،..ليس الإزعاج مصدره أنتِ فقط، بل الحياة جميعها "قال ذلك، وابتسم على الفور، لما رآها قد همت بالانصراف منزعجة من كلماته الحادة

مسك يدها وأجلسها مرة أخرى ثم قال

"الغريب"!

الغريب أن من أحببتها حقا، ظنت حبي لها لطفا اعتدت عليه تجاه الأخريات، فهذا ما أفسده عليَّ كوني لطيفا"!

تمت بحمد الله

الفهرس

نـورانا 5
إنسان 27
المكتب 30
الميت.....33
كورونا 39
د/هيومان 40
الغراب 46
الزهرة البيضاء 48
أحفاد الشياطين 56
عاهرة الأطباء 58
صاحب المعطف الأصفر 73
الآنسة س 80
الفندق.....82
نـوال 87
الجدار 88
الطبيب النفسي 90
جورجينا.....95
الحلم 104
جريمة قتل في شقة 14.....107
رحلة 122

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.